مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة
مجلد (٧٠) عدد (٢) أبريل ٢٠١٠

تطور المؤسسات التعليمية النظامية في مركز الدولة العثمانية حتى بداية عصر تنظيمات ١٨٣٩م

د/ احمد محمد عبد العال سليم(*)

تطور المؤسسات التعليمية النظامية فى مركز الدولة العثمانية حتى بداية عصر تنظيمات ١٨٣٩

ملخص

قام النظام التعليمى فى الدولة العثمانية على اسس اسلامية واضحة المعالم مصدرها القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والاستفادة من الحضارات الاسلامية التى سبقتها. لكن مع مرور الوقت حاولت الدولة خلق كيان منفرد لها بعيدا عن المؤثرات الخارجية سواء الحضارات التى سبقتها كالاسلامية أو غير الاسلامية. وهذا ماجعلها تمر بمراحل وتطورات كثيرة ومتنوعة كان بعضها ايجابيا وبعضها سلبيا.

وسوف تكتفى هذه الدراسة بتناول مؤسسة التعليم النظامى الذى كانت تشرف عليه الدولة، والذى انقسمت بدورها الى مؤسسة التعليم المدنى ومؤسسة

The Development of Mainstream Educational Institutions in the Ottoman Empire Until the beginning of ١٨٣٩

Abstract

The early educational system in the Ottoman state was greatly inspired by Islamic principles taken from the Holy Quran ,Hadith, and the Islamic civilization that preceded the Ottoman empire. With the passage of time the Ottoman Empire tried to create a new educational institution away from these influences resulting in civic education institutions and military education ones. This study will address the

(*) أستاذ مساعد التاريخ الحديث كلية الآداب- جامعة حلوان

التعليم العسكرى بمراحلهما المختلفة. وفيها ستتناول التطورات التى صاحبت هاتين المؤسستين منذ اقامة أول مدرسة فى عهد السلطان اورخان فى مدينة ازنيك عام ١٣٣١ مرورا بتطورات حقيقية فى هذا المجال زمن السلطان محمد الفاتح والسلطان سليمان القانونى حيث اقام الاول مدرسة صحن الثمانية والثانى المدرسة السليمانية واللتان لعبتا دورا مؤثرا فى العملية التعليمية طوار العصر العثمانى. وعلى الرغم من حرص الدولة على سير العملية التعليمية بصورة جيدة الا أنها مرت بحالات تدهور كبير صاحبها بعض الوقت خاصة خلال القرن السابع عشر لكن محاولات الدولة علاج هذا الخلل كانت كثيلرة سواء باصدار قوانين اصلاحية للتعليم أو الاستعانة بخبراء التعليم لاصلاح هذا الخلل.

developments that had accompanied these institutions since the establishment of the first school in the reign of Sultan Orhan in the city of Aznik in ١٣٣١, focusing on the reformative steps taken during the reigns of Sultan Mehmet the Conqueror and, Sultan Suleiman the Magnificent. This study will also discuss the problems faced by these educational institutions and how the government attempted to overcome them.

كانت مهمة العلماء في الدولة العثمانية هي الإبقاء على المجتمع الإسلامي باعتباره تنظيماً متماسكاً يتميز بنيانه ومبادئه بالوحدة والانسجام، ولا يقيم وزناً كبيراً للفروق الجنسية، ولا يرتبط بالتنظيمات السياسية والتي قد تستعدى بين وقت وآخر حكم جزء أو آخر من الأراضي الإسلامية.(1)

وكانت التنظيم الديني يختلف عن نظام الحكم الذي كان يستقى سلطته ونفوذه من القوة المسلحة، من حيث كونه (التنظيم الديني) يقوم على خضوع الرجال والنساء باختيارهم للمثل العليا التي كان ينادي بها. ولهذا فإن قوته كنظام والسلطة التي كان بإمكان أعضائه أن يباشروها، تعتمدان على درجة استمرار هذه المثل العليا في الحصول على اعتراف عام وعلى درجة استمرار العلماء في التمتع باحترام عام بصفتهم ممثلى هذه المثل والمدافعين عنها. (2)

وهكذا كانت المهمة الرئيسية الأولى للتنظيم الديني في الدولة العثمانية، أن يضفى على كل طبقات المجتمع بما فيها الهيئة الحاكمة عادات فكرية ومبادئ عمل وحكم تتمشى مع هذه المثل العليا. أما مهمته الثانية فكانت تنشئة وإعالة هيئة من الدارسين والمدرسين يستطيعون بمعارفهم أن يحافظوا على المبادئ التي يقوم عليها التنظيم الديني وأن يجعلوا من أسلوب حياتهم موضعاً لاحترام الناس وعواطفهم. (3)

وكان التنظيم الديني أساسا يقوم على العلم بمعنى المعارف المقدسة، وكان الاستحواز على قدر من العلم شرطاً ضرورياً للدخول في هيئة العلماء.

وبالنظر إلى الحياة الدينية خلال الحقبة الأولى من الحكم العثماني في الإمبراطورية الآخذة في الاتساع، نجد أن هناك مؤثرات خارجية بعيدة عن

الإسلام الأصلى قد أثرت عليها بصورة أو بأخرى، الأمر الذى لا شك فيه كان له أثره على العلماء أنفسهم بدرجة معينة. ورغم ذلك فقد حاولوا باستمرار بصفتهم حراساً على الشريعة، التوفيق بقدر المستطاع بين هذه المؤثرات الخارجية وبين التعاليم الإسلامية الصحيحة، والعمل على دفع الحكومة العثمانية إلى اتجاه الإسلام الصحيح. (٤)

ولكن يبدو أن نجاحهم كان بطيئاً بسبب نقص عددهم في البلاد حتى بداية القرن الخامس عشر الميلادى، أو على الأقل كان عددهم لا يكفى للوفاء باحتياجات الدولة المتزايدة. ولهذا استوردهم السلاطين العثمانيون من البلاد المجاورة واستخدموهم في تعليم رعاياهم الذين ولدوا في الأراضي العثمانية، وفي الأغراض المباشرة للحكومة. فما حلَّ نهاية القرن حتى كانوا قد أقاموا هيئة من أهل العلم لها الخبرة والقدرة ما يكفي لمواجهة حاجاتهم. (٥)

ولما كان الإنفاق على المدارس أمراً ضرورياً لهذا الغرض، فقد أهتم السلاطين بإنشاء مراكز التعليم هذه وأرصدوا عليها الأوقاف، وبخاصة في عواصمهم المتتالية بورصة وأدرنه واستانبول. (٦)

وكانت مدارس هذه المدن الثلاث تتمتع بأهمية خاصة، على حين كان من الطبيعي أن تتمتع مدارس استانبول بالمركز الأسمى، لأنها كانت أكثرها عدداً. (٧)

وما حلَّ عهد السلطان سلميان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) حتى كان على العلماء الذين يطمحون في الوظائف العليا أن يمروا بإثنتي عشرة مدرسة من هذه المدارس في نظام محدد أولاً، بصفتهم طلاباً ثم بصفتهم أساتذة. وكان هذا النظام

عادة يتطلب بما يتراوح بين ١٥–٢٠ سنة (خلال القرن السابع عشر)، وكان من الممكن أن تستمر هذه العملية التعليمية لمدة تصل إلى أربعين عاماً، وهي مدة طويلة بالفعل لا يستطيع إلا عدد قليل للغاية الاستمرار في هذا النظام الشاق. فيكتفي الكثير منهم بقبول قدر معين من هذا النظام يمكنهم من الالتحاق بوظيفة مرموقة إلى حدا ما على حد تصورهم، لكن في الحقيقة لا نستطيع إلا أن نقول عن هذه الوظيفة إنها ثانوية تتناسب مع ما أحرزه من علم. (٨)

وما حلَّ ذلك الوقت حتى كانت قد أنشئت سلسلة من الوظائف العلمية بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الإسلام.

وفي الحقيقة إذا نظرنا إلى البنية التعليمية التي قامت عليها أسس الدولة التعليمية سوف نجد أنها استمدت منهجيتها من الإدارات السابقة والمعروفة بنظامها الصارم والدقيق، وأقصد به النظام السلجوقي، والذي بدوره استمد نظمه الإدارية والمالية كذلك من النظم البيزنطية، والذي عرف باسم التسلسل الوظيفي الأرثوذكسي. (٩)

أما فيما يتعلق بالمناهج الدراسية نجد أن الدولة العثمانية في البداية كانت حريصة على جمع كل ما استطاعوا الوصول إليه من علوم، لكن كان اهتمامهم الأساسي في البداية منصباً على العلوم الدينية والتي كرَّسوا جهودهم لفترة طويلة للإلمام بها والوصول إلى الدراسات الحديثة منها. لذلك كانوا على اتصال مباشر ودائم بالعواصم العربية الإسلامية داعين علمائهم وأساتذتهم للتدريس في مدارسهم وكتاتيبهم. (١٠)

من جهة أخرى استعانوا بعلماء العلوم العقلية من مختلف بلدان العالم خاصة المتحضر منها آنذاك، ولم يبخلوا بالعطاء على هؤلاء العلماء والأساتذة، فصارت مراكز الدولة العثمانية من أهم وأكبر مراكز العلم والثقافة في العالم الإسلامي آنذاك. (١١)

وسوف تتناول هذه الدراسة التطورات التي صاحبت العملية التعليمية في مركز الدولة العثمانية من حيث تطور المؤسسات التعليمية النظامية خلال العصر العثماني وحتى بداية عصر تنظيمات عام ١٨٣٩ م وهو العام الذي قام فيه السلطان عبد المجيد بإجراء إصلاحات شاملة في البلاد، وكان للمؤسسات التعليمية بالطبع نصيب كبير من هذه الإصلاحات، والتي اختلفت بصورة كبيرة عما كان سائدا في العصر العثماني الكلاسيكي والذي صاحب تطورات في المؤسسات التعليمية وليس تغييرات جوهرية بها مثلما حدث في الإصلاحات المجيدية عام ١٨٣٩ م. ويرجع طول الفترة الزمنية موضوع الدراسة إلى أن رصد التغير في بنية المؤسسات التعليمية في العصر العثماني الكلاسيكى كان بطيئا حتى عام ١٨٣٩، لكن وعلى الرغم من ذلك فتعتبر هذه الدراسة نواة لكل من يريد دراسة المؤسسات التعليمية في مركز الدولة العثمانية بصورة أكثر تركيزا وأكثر عمقا.

على أية حال فقد قام النظام التعليمي في الدولة العثمانية على أسس إسلامية واضحة المعالم مصدرها القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والاستفادة من الحضارات الإسلامية التي سبقتها. لكن على الرغم من ذلك حاولت الدولة العثمانية خلق كيان منفرد لها بعيداً عن المؤثرات الخارجية سواء الحضارات

التي سبقتها كالإسلامية أو غير الإسلامية، وهذا ما جعلها تمر بمراحل وتطورات كثيرة ومتنوعة كان بعضها إيجابياً وبعضها سلبياً.

لكن على الرغم من ذلك كان يحسب للإدارة العثمانية أن النظم التعليمية في البلاد سارت وفقاً لبرنامج حددته ونجحت فيه بصورة كبيرة للوصول إلى أهدافها المرجوة. (١٢)

وطبقاً للبرنامج الذي حددته الدولة نجد أن المؤسسات التعليمية بها قد قسمت إلى مؤسستين:

١- مؤسسة التعليم النظامي.

٢- مؤسسة التعليم غير النظامي.(١٣)

وسوف تكتفي هذه الدراسة بتناول مؤسسة التعليم النظامي، والتي كانت بدورها تنقسم إلى مؤسستين هما:

أ- مؤسسة التعليم المدنى.

ب- مؤسسة التعليم العسكرى.

أ- مؤسسة التعليم المدنى:

هي مؤسسة واضحة المعالم محدَّد بها سن قبول التلميذ ومدة دراسته والمناهج المقررة عليه في كل مرحلة. فقد كانت مدة الدراسية بها في مرحلتها الابتدائية في معظم الأحيان أربع سنوات وعادة ما يكون سن الالتحاق بها ما بين ٥-٦ سنوات، أما العلوم التي سوف يدرسها التلميذ في هذه المرحلة فكانت

عبارة عن تعلم مبادئ الكتابة والقراءة وبعض العلوم الدينية ومبادئ الحساب.[١٤]

وقد قسّمت هذه المؤسسة أيضاً إلى مراحل تعليمية مختلفة:

١- المدارس الابتدائية

استفادت الدولة العثمانية أثناء وضع نظم ومنهجية هذه المدارس من النظم السابقة لها والمعروفة بدول الترك الإسلامية، خاصة كارهان ودولة السلاجقة. وكان يطلق على هذه المدارس عدة أسماء منها دار التعليم أو المعلم خانة أو دار التعليم الابتدائية. ورغم اختلاف مسميات هذه المؤسسة إلا أنها كانت تشترك في الدور الذي تقوم به تجاه العملية التعليمية. فقد قام النظام التعليمي في هذه المؤسسة على عدة محاور رئيسية، هي البناء وهيئة التدريس والطلاب.

فالبناء نجده أحياناً مستقلاً أو ملحقاً بمسجد أو ملحقاً بأحد القصور السلطانية أو قصور أحد كبار رجال الدولة.[١٥] هذا وقد أُنشئت أول مدرسة ابتدائية في الدولة العثمانية في مدينة استانبول في عهد السلطان محمد الفاتح عام ١٤٥٨م وعرفت باسم دار التعليم. وكانت هذه المدرسة تهتم بتعليم القرآن الكريم قراءة وتجويداً، فضلاً عن دراسة علم الكلام.[١٦] وفي عهد السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢) م ألحق مدرسة ابتدائية بالكلية التي أنشأها في استانبول عام ١٤٩٤م لتعليم قراءة القرآن ودراسة علومه. وفي عام ١٧٣٩م أرصد السلطان محمود الأول (١٧٣٠-١٧٥٤م) وقفاً على مصالح دار للتعليم تهتم بإجادة الخطوط وفنونه بالإضافة إلى إنشاء دار للتعليم تهتم بدراسة اللغة العربية

والفارسية. [١٧] وقد رصد الرحالة التركي الشهير Evliye çelebi عدد دور التعليم في استانبول فقط بـ ١٩٣٣ دارًا. [١٨]

٢- التعليم المتوسط والعالي:

وهو التعليم المتمم للمرحلة الابتدائية. وسوف نجد أن هذه المرحلة لم تكن منقسمة بين تعليم متوسط وتعليم عالٍ طوال العصر العثماني الكلاسيكي، وأن هذا التقسيم الجديد لم يظهر إلا بعد التنظيمات العثمانية عام ١٨٣٩م، لذلك فلم يكن هناك حد فاصل بينهما بشكل رسمي إنما كان هناك حد فاصل بالطبع من حيث التنفيذ، وهذا ما سيظهر لنا أثناء الحديث عن هذه المرحلة.

على أية حال فقد أولت الدولة أهمية كبرى لهذه المرحلة باعتبارها المرحلة النهائية ونتاج ما وصل إليه جهودهم في هذا المجال. حيث كان من أهداف إنشاء هذه المدارس على حد تصورهم تنمية ثقافة المجتمع من جهة والاستفادة من خريجي هذه المدارس للعمل في الوظائف الحكومية ما كبُر منها وما صغُر من جهة أخرى. ومثلها مثل مؤسسة التعليم الابتدائي قامت هذه المؤسسة على ثلاثة أضلاع أساسية (البناء – هيئة التدريس – الطلاب) وكان التقصير في أحد أضلاع هذا المثلث يسبب خللاً في إدارة العملية التعليمية في مركز الدولة العثمانية وهذا ما ترفضه الإدارة شكلاً وموضوعاً، لذلك سعت جاهده إلى تدعيم هذه الأضلاع ومنع كل ما يعكر صفو العملية التعليمية.

وقد اعتمد العثمانيون عند تأسيس هذه المدارس على كل ما لديهم من معلومات استقوها ممن سبقوهم سواء بكوات الأناضول أو السلاجقة. كذلك ونظراً

لقلة خبرة المدرسين في مركز الدولة فقد اعتمدوا على استقدام مدرسين من الخارج للعمل في المدارس وإعطاء كل ما لديهم من خبرة للمدرسين المحليين. فاستقدموا مدرسين من مصر والشام لتدريس العلوم النقلية ومدرسين من بغداد وسمرقند لتدريس العلوم العقلية. وقد ظهر هذا بصورة واضحة عندما أنشاء السلطان أورخان غازى أول مدرسة في مدينة أزنيك عام ١٣٣١م، حيث قام باستقدام داوود القيصري من القاهرة وعينه في هذه المدرسة، كذلك استقدم من إيران لنفس المدرسة علاء الدين على الأسود.[١٩] كذلك عندما أسس السلطان بايزيد الأزل أول دار للقراء في مدينة بورصة عام ١٣٩٥م قام باستقدام شمس الدين الجزيرى من القاهرة للتدريس بهذه الدار.[٢٠] هذا وقد كلف السلطان محمد الفاتح مولاً خورسف وعلى كوشتشو وهما من العلماء الأجلاء في الدولة العثمانية في مجالات علوم الرياضيات والفلك واللغة وغيرها، بوضع قانون يحدد نظام التعليم في هذه المدارس، وبالفعل تم تطبيقه بنجاح وبصورة جيدة واستمر العمل بهذا القانون حتى عصر السلطان سليمان القانوني. وعرف هذا القانون باسم" قانون طلبة العلوم".[٢١] وقد انقسمت مدارس هذه المرحلة سواء في العصر العثماني الكلاسيكي أو في عصر ما بعد التنظيمات إلى نوعين من المدارس هما:

١- المدارس العمومية

وهي المدارس التي كانت تدرس العلوم بشكل عام، أي أنها لا تختص بتدريس علم معين إنما علوم متنوعة. وقد قسمت هذه المدارس طبقاً للمستوى الدراسي بها والذى كان مرتبطاً بمستوى ودرجة المدرس، والذي ارتبط مستواه

أيضاً بمقدار الأجر اليومي الذي كان يحصل عليه آنذاك. وبالطبع كان مستوى المدرس يرتبط بأقدميته وخبرته والتي يتحدد عليها أجره اليومي. وكان من هذه المدارس:

أ- مدارس العشرين (حاشية التجريد):

وهي المدارس التي يحصل فيها المدرس على أجر مقداره ٢٠ أقجة يومياً. وتعتبر هذه المدرسة بداية السلم الوظيفي للعمل في التدريس.

وكانت هذه المدارس تقوم بتدريس علم الكلام من كتاب "تجريد الكلام" لنصير الدين الطوسي، والفقه من كتاب "شرح الفرائض" للسيد الشريف جورجاني، وكتاب علم البلاغة لسعد الدين التفتازاني، بالإضافة إلى علوم الصرف والأمثلة وبالبناء بالإضافة إلى دراسة بعض كتب أصول الفقه باللغة العربية. [٢٢]

ب- مدارس الثلاثين (شرح المفتاح):

كان المنهج الأساسي الذي يدرس في هذه المدرسة كتاب البلاغة "شرح المفتاح" لسعد الدين التفاتازاني، بالإضافة إلى كتاب " التفتيح والتوضيح" في الفقه، فضلاً عن كتاب "حاشية التجريد" وكتاب" المصابيح" في الحديث. ويذكر لنا Katip çelebi أنه في بعض الأحيان كان يدرس مناهج أخرى

بالإضافة إلى المناهج سابقة الذكر مثل كتاب"مفتاح المعاني" وكتاب "صدر الشرائع" والذي أمر بتدريسه في هذه المدرسة السلطان محمد الفاتح.[٢٢]

جـ- مدارس الأربعين(مدارس التلويح):

وهي المدارس التي يتعيَّن فيها المدرس على ٤٠ أقجة يومياً. وتقوم هذه المدارس بتدريس مناهج علم البلاغة من كتاب " مفتاح العلوم" وأصول الفقه من كتاب "التفتيح والتوضيح" كذلك كتاب "مشارق الأنوار النبوية" لرضى الدين السجَّان. وكتاب "صدر الشريعة" لأبى عبيد الله بن إسحاق وكتاب "المصابيح" في علم الحديث للإمام البخارى. وكالعادة تدخل السلطان الفاتح بإضافة بعض المناهج والكتب لتدرس في هذه المدارس ومن هذه الكتب كما أوضحها Katip celebi، " كتاب شرح المواقف وشرح المقاصد"، كذلك أمر بتدريس أحاديث البخارى ومسلم، بالإضافة إلى كتاب " فقه الهداية".[٢٤]

د- مدارس الخمسين:

انقسمت هذه المدارس إلى مدارس داخلية ومدارس خارجية، كانت المدارس الداخلية تدرس مناهج علم فقه الهداية وأصول الفقه وأحاديث البخارى والتفسير وقد أقامها سلاطين العثمانيين وزوجاتهم وإبناؤهم وبناتهم من الأمراء والأميرات، أمَّا المدارس الخارجية فكانت تدرس علوم فقه الهداية وعلم الكلام ومصابيح الحديث. وكان مدرسو هذه المدرسة يحصلون على أجر يومي مقداره ٥٠ أقجة وقد أقامها حكام سلاجقة الأناضول وحكام الإمارات الأناضولية عائلاتهم ووزرائهم وأمرائهم.

هـ- مدرسة صحن الثمانية:

يعتبر تأسيس هذه المدرسة زمن السلطان محمد الفاتح في الفترة من عام ١٤٦٣م إلى عام ١٤٧١م هو الإصلاح الأول في المؤسسات التعليمية لما طرأ عليها تغييرات ملموسة في إدارة هذه المؤسسة وتطور مناهجها الدراسية، مما أُعتبر إضافة حقيقية لمؤسسات الدولة التعليمية. وكما ذكرنا أن هذه المدارس أُنشئت في عصر السلطان الفاتح على شكل مجمع بمدينة استانبول يضم ثمانية مدارس، أربعة جهة جامع الخليج وأربعة جهة بحر مرمرة. (٢٥)

وعندما أُنشئت هذه المدارس كان يعين بها أفضل علماء الدولة ومدرسيها آنذاك، وكانوا يحصلون على أعلى أجر يومى، وكان من هؤلاء العلماء على سبيل الحصر مولانا علاء الدين الطوسى والبورصلي خوجازادة محي الدين مصطفى، ومولانا عبد الكريم، والذي عينوا في المدارس الثلاثة الأولى على الترتيب أما باقى المدارس الخمسة الأخرى فقد تم تعيين علماء آخرين اتصفوا بالعلم والمعرفة ولا يقلون كفاءة عن العلماء سابقي الذكر. (٢٦)

وكانت كل مدرسة من هذه المدارس تتكون من ١٩ غرفة، كل غرفة بها ١٥ طالب، بالإضافة إلى ٢ معيد و ٢ بواب وخادم واحد. (٢٧) وكان ملحق بهذه المدارس أيضاً عدد من المدارس الرئيسية التابعة لمدرسة صحن الثمانية، وكانت كل غرفة من هذه المدارس تَسَع ثلاثة طلاب. (٢٨)

أما فيما يتعلق بما يحصل عليه المدرس كأجر يومى في هذه المدرسة، نجد أن بداية تعيين المدرس في هذه المدرسة قد بلغ ٥٠ أقجة زمن السلطان الفاتح ووصل إلى ٩٠ أقجة أحياناً بعد الحصول على ترقيات مستمرة، هذه بالإضافة

إلى ٢٠ أقجة إضافية بدل طعام وشراب تقدم إلى المدرس، فضلاً عن تعيين معيد لكل مدرس يقوم بدور المراجع للطلاب بعد شرح المدرس لطلابه موضوع معين. أما الطلاب فكان يصرف لهم ٢ أقجة يومياً كبدل طعام وشراب. (٢٩)

ومن هذه المدرسة تخرَّج العديد من القضاة وقضاة العسكر وعادوا إليها كمدرسين بعد عزلهم من وظائفهم وحصلوا على مرتبات يومية كبيرة تتناسب مع مكانتهم الوظيفية السابقة وليس كفاءتهم العلمية ومهاراتهم التدريسية، وبالطبع كان هذا من الأسباب التي أدت إلى تدهور العملية التعليمية في مركز الدولة العثمانية خلال القرن السابع عشر والذي احتاج إلى وقفات كثيرة من السلاطين والمهتمين بالتعليم لإصلاح ما أفسده هؤلاء. (٣٠)

أما فيما يتعلق بالعلوم التي كانت تدَّرس بهذه المدرسة فكانت علوم فقه الهداية وأصول الفقه وأحاديث البخارى وعلوم التفسير، بالإضافة على علوم الفلك والمنطق والهندسة والطب. وكان يوجد في هذا المجمع أيضاً دار للشفاء لتدريب طلاب الطب بها. وكان من أهم الكتب التي تدرس بها" شرح الشهية" في أصول الفقه" وشرح المفتاح" في البلاغة، " وشرح التجريد" في علم الكلام وغيرها. (٣١)

و- مدارس الستين:

كان هناك مدرسة واحدة فقط في أياصوفيا باستانبول زمن السلطان محمد الفاتح. وبالطبع كان الأجر اليومي للمدرس ستين أقجة، لكن في بعض الحالات النادرة يرتفع أجر المدرس بهذه المدرسة عن ستين أقجة، فعلى سبيل المثال حصل العالم الشهير كوشتشو بهذه المدرسة على أجر يومى مقداره ٢٠٠

أقجة وهو أجر مرتفع للغاية بالمقارنة بالأجور الأخرى بجميع مدارس الدولة بما فيها مدارس صحن الثمانية. ويبدو شهرة هذا العالم وإسهاماته المستمرة للدولة في مجال تنظيم التعليم قد برّر له الحصول على هذا الأجر المرتفع، ومن جهة أخرى يوضح هذا الأجر تقدير السلاطين العثمانيين للعلماء الكبار والإغداق عليهم بدون حساب محطمين جميع قواعد وقوانين المرتبات التي نظمت على أساسها مدارس الدولة. تقديرًا لجهودهم وعلمهم. (٣٢)

٢- المدارس المتخصصة:

وهي المداس التي كانت تتناول علماً معيناً بالدراسة، حيث كانت تقوم بتدريسه بصورة أكثر تركيزاً وأكثر عمقاً. وكان يطلق على هذه المدارس اسم "دار". وكان من هذه المدارس أو الدور:

أ- دار القُرّاء:

وهى دار كانت تهتم بتعليم قراءة القرآن الكريم وكيفية تجويده بصورة سليمة. وقد أُنشئت أول دار للقراءة في مركز الدولة العثمانية في زمن السلطان بايزيد الثاني عام ١٤٩٢م في مدينة بورصة بالقرب من جامع أولو، وقام باستدعاء الشيخ شمس الدين محمد بن محمد الجزيري من مصر عام ١٤٩٢م للقيام بالتدريس في هذه الدار. (٣٣) بعد ذلك انتشرت هذه الدور بشكل كبير، حيث كان كل سلطان وكل وزير يقوم بإنشاء دار للقراءة في أحد الجوامع. وكانت معظم هذه الدور تقوم بتدريس كتاب "مخارج الحروف" لأبى محمد الشاطبى وكتاب "فتح الواحد" لشمس الدين الجزيرى. (٣٤)

ب- دار الحديث:

أنشئت أول دار للحديث في الدولة الإسلامية زمن الاتابكة في مدينة حلب في عهد نور الدين زنكى وعرفت بالمدرسة النورية وقد أنشاها الزنكى باسم المحدِّث الكبير والمؤرخ الشهير ابن عساكر . بعد ذلك ومنذ القرن الثاني عشر الميلادي بدأت دور الحديث تنتشر بصورة كبيرة في معظم دول العالم الإسلامى.(٣٥) أما في مركز الدولة العثمانية فكان إنشاء أول دار للحديث زمن السلطان مراد الأول وذلك عام ١٣٦٨م عندما أنشأها تشاندرلى خير الدين باشا في مدينة إزنيك. بعد ذلك توالى إنشاء دور الحديث في جميع مدن الدولة العثمانية بتشجيع كبير من السلاطين والوزراء وكبار رجال الدولة. لكن اشهر دور الحديث فى العهد العثمانى هى دار الحديث التى أنشئت بمدينة أدرنة على ضفاف نهر طونجه عام ١٤٣٥م والتى اعتبرت نقطة تحول فى نظام المدارس العثمانية وكان أول مدرس فيها الشيخ فخر الدين العجمى، وتذكر كتب الطبقات لأسماء مدرسى دار الحديث هذه حتى القرن الثامن عشر الميلادى. ويشير التعداد العام للسكان الذى قام به العثمانيون عام ١٣٠٠ من الهجرة أن مدارس الحديث التى كانت قائمة فى تلك الفترة فى إستانبول هى : دار الحاج بشير أغا بحى أبى ايوب الأنصارى، ودار عزت أفندى فى حى السلطان سليم ودار على أفندى الميسى ، ودار خلوصى أفندى ودار البوسنوى ودار بابا محمود بكر أغا فى حى زادة ودار بابا زاده ودار الداماد ابراهيم باشا ودار حسن أغا ودار السليمانية. وقد اهتمت هذه الدور بتدريس صحيح البخارى ومسلم والتفسير وغيرها من أمهات الكتب وشروحها. وهنا

يجب أن نوضح أيضا بأن الكتب المقررة لم تكن موحّدة فى جميع دور الحديث فى الممالك العثمانية فبعض دور الحديث تحدّد كتبا أخرى وفق رغبة واختيار المدرسين. وعرف المدرسون فى هذه المدارس بالمحدّثين. واشترطت هذه المدارس لقبول الطلاب فيها أن يكمل دراسته فى مدارس التعليم العام . [٣٦]

جـ- دار الشفاء:

وهي المدارس التي كانت تقوم بتدريس الطب وتطبيقاته. وقد أطلق عليها قبل العصر العثماني دار الطب ودار الشفاء ودار الصحة ودار المرضى والمارستان والبيمارستان. لكن في العصر العثماني عُرفت باسم "دار الشفاء". وبعد إنشاء كلية السليمانية (١٥٥٠- ١٥٥٧م) أطلق عليها اسم مدرسة الطب.

والمعروف أن المستشفى الاول الذى أقيم فى العالم الاسلامى هو البيمارستان الذى بناه الخليفة الاموى الوليد بن عبد الملك فى دمشق عام(٧٠٦-٧٠٧ م). أما فى العصر العباسى فقد كثر عدد المستشفيات والبيمارستنات ولاسيما فى بغداد.أما اقدم البيمارستانات التركية الإسلامية التى أمكن التثبت من وجودها حتى الآن هو المستشفى الذى أقامه الأتابك نور الدين محمود بن زنكى فى دمشق عام (١١٥٤-١١٥٥م) وعرفت "بالبيمارستان النورى". وأول المستشفيات التى أقامها السلاجقة هو المستشفى الذى بناه نظام الملك وزير الب أرسلان عام (١٠٦٣-١٠٧٢م) فى نيشابور ثم تلاها العديد من البيمارستانات فى بغداد وشيراز وبردسير وقاشان وأبهر وزنجان وماردين وغيرها.

أما فى العصر العثمانى فقد أُنشئت أول دار للشفاء في عهد السلطان بايزيد الأول في ١٥ رمضان عام ٨٠٢هـ/ ١٢ مايو عام ١٤٠٠م في مدينة بورصة على سفح جبل أولوداغ شرقى المدينة وفى جوار جامعها مباشرة. وهذه المدرسة كانت تحمل الخواص المعمارية للخانات التى أنشئت فى الأناضول فى تلك الفترة، فكانت عبارة عن دورين وفى وسطها حديقة واسعة وتفتح أبواب الغرفة والصالات إلى الحديقة. وقد نالت هذه الدار شهرة واسعة خلال فترة قصيرة. وكان نظام التعليم فى هذه المدرسة التى وقف عليها السلطان كثيرا من الأوقاف شبيها بنظام التعليم فى دار الشفاء بنيسابور ودار الشفاء التى أنشأها السلاجقة فى سيواس.

ثم أُنشئت دار أخرى للشفاء في مدينة استانبول في عهد السلطان محمد الفاتح عام ١٤٧٠م الى جانب مدارس صحن الثمانية ولم يبخل السلطان بشيء كى تقوم هذه المؤسسة الصحية بالخدمات المرجوة منها على أكمل وجه. وكان لهذه المستشفى سبعون غرفة وثمانون قبة، وتحتوى أقساما مستقلة لعلاج النسوة والمرضى من غير المسلمين،وكانت تتولى علاجهم على أحسن وجه ، حتى أنها كانت تستخدم الموسيقى سبيلا لعلاج مرضى الأمراض العقلية. وكان كبير الأطباء وكبير المدرسين يعيَّن من قبل السلطان شخصيا ،كما أنشأ السلطان بايزيد الثاني داراً أخرى للشفاء في مدينة أدرنة عام ١٤٩٨م وكانت تحتل مكانة هامة فى علاج أمراض العيون ومداواة الأمراض العقلية. وهى من حيث البناء تلفت الأنظار من بين دور الشفاء التركية، حيث بنيت على الطراز الأوربى وكانت ايضا تستخدم الموسيقى فى علاج الأمراض العقلية.[٣٧]

أما في عهد السلطان القانوني تم إنشاء أول مدرسة للطب في استنابول عام ١٥٥٧م. ثم أنشأت زوجته خاصكي حرم دارًا للشفاء عرفُت باسمها وتحتوى على كافة التجهيزات ثم جرى تخصيص جزء منها لعلاج النساء فقط. وفي مدينة مانيسا أنشأت والدة السلطان القانوني حفصة خاتون داراً أخرى للشفاء. وفي عهد مراد الثالث أنشأت والدته نور بانو سلطان عام ١٥٨٣ داراً للشفاء عُرفت بالعتيق. وفي عهد مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠م) ثم رصد عدد دور الشفاء بتسعة دور للشفاء. وقد اعتمدت هذه الدور في مناهجها على مؤلفات طبية منها " مفردات الأدوية" لإسحاق بين مراد و " كتاب الطب" لأحمد الدائى " وتذكرة داود" لداوود الانطاكى وكتاب " الظواهر المرضية" لسنوبلو مؤمن وكتاب " مفتاح النور وخزائن السرور" لأماسيالى صابونجى ابن شرف الدين. (٣٨)

أما فيما يتعلق بالأجر اليومى الذى كان يحصل عليه المدرس في هذه المدرسة فكان ٢٠ أقجة يومياً، وكان يقوم بتدريس العلوم الطبية النظرية لمجموعة من الطلاب لا تزيد عن ثمانية طلاب، وكانت هذه الدروس تستمر لمدة أربعة أيام أسبوعيًا. أما المدرسون الذين يقومون بالتدريس العملى فكانت مرتباتهم كالتالى:

الباش حكيم أو رئيس الأطباء عشرين أقجة يومياً أما مساعديه فكانوا يحصلون على عشرة أقجة يومياً مقسمة، حيث يحصل الجراح على ٢ أقجة يومياً وطبيب العيون ٢ أقجة يومياً و ٢ أقجة يومياً لاثنين من الصيادلة أحدهم

الأصلى والأخر المساعد وأقجة واحدة للكاتب والباقى يوزع على البواب والخدام بالمدرسة والحلاق واللبيس. [٣٩]

د- المدارس السليمانية:

يعتبر عصر السلطان سليمان القانونى هو التطور الثانى الذي صاحب تطور المؤسسات التعليمية في الدولة العثمانية، حيث كان التطور الأول كما ذكرنا من قبل أثناء فترة حكم السلطان محمد الفاتح والذى تمثل في إنشاء مدارس صحن الثمانية. أما التطور الثاني فقد بدأ بعد إنشاء كلية السليمانية في استانبول في الفترة من ١٥٥٠ إلى ١٥٥٧م. وقد سار السلطان القاتونى على نفس النهج الذى انتهج السلطان الفاتح في مدارس صحن الثمانية من حيث طريقة إدارة المدرسة وطبيعة المناهج المنتقاة للتدريس بها ومستوى المدرسين القائمين على العمل بهذه المدارس.

أما الإضافة الذى قدمها السلطان القانوني في هذه المدارس، أنه جعل جميع مراحل الدراسة بها عبارة عن مدارس موصلة أى تمهيدية للمرحلة التالية لها. وبالطبع كان التدرج في هذه المدارس من حيث التخصص الأدق والأعمق يمر بهذه المدارس والتي عُرفت بالموصلة.

وقد قسمت هذه المدارس طبقاً لما ورد في تنظيمها إلى إحدى عشرة مدرسة، كانت على النحو التالى:

١- المدارس الابتدائية الخارجية.

٢- تحركات المدارس الخارجية.

٣- المدارس الإبتدائية الداخلية.

٤- تحركات المدارس الداخلية.

٥- مدارس صحن الثمانية الموصلة.

٦- مدارس صحن الثمانية.

٧- المدارس الابتدائية الستينية.

٨- تحركات المدارس الستينية.

٩- مدارس السليمانية الموصلة.

١٠- مدارس السليمانية.

١١- دار الحديث مدرسة سى (مدرسة دار الحديث).

وبالطبع تعتبر الأخيرة (دار الحديث) أرقى المدارس في نظام الكلية السليمانية، وظهر هذا بصورة واضحة في المرتبات اليومية التى كان يحصل عليها المدرسون في هذه الدار.[٤٠]

وكما ذكرنا من قبل أن مدارس صحن الثمانية التي أنشأها السلطان الفاتح قد اهتمت بالعلوم الدينية بصورة كبيرة (التفسير – الحديث – الفقه – علم الكلام- الأدب) بالإضافة إلى مبادئ في علوم الحساب والهندسة والفلك، إلا أن هذه المدارس بهذه الصورة لم يرضَ عنها السلطان القانوني، لذلك قام بإنشاء كلية السليمانية لإضفاء الروح العلمية المفتقدة في مدارس صحن الثمانية، تاركاً لهذه المدارس ما وصلت إليه من تقدم في مجال العلوم الدينية. كذلك اهتمت مدارس السليمانية بالعلوم الطبيعية مثل الرياضيات والفيزياء والطب واعتبر أن احتياج المجتمع لهذه العلوم هو الشئ الذي دفعه لإنشاء مدارس السليمانية.

لذلك شرع في بناء هذه المدارس في شهر جمادى الأول ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م واستمر البناء بها لمدة ست سنوات ونصف أي حتى بداية شهر شوال ٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م.

وكان البناء عبارة عن أربعة مدارس جهة جامع السليمانية وفي الجهة القبلية للجامع سابق الذكر تم إنشاء دار الحديث ومدرسة الطب.

وقد اهتمت المدارس الأربعة الأولى بتدريس علوم الرياضيات والهندسة والفيزياء.

أما عن الأجور اليومية للمدرسين في هذه المدرسة نجد أن المدرس في المدارس الأربعة الأولى بالإضافة إلى المدرس في مدرسة الطب كان يحصل على يومية مقدارها ٦٠ أقجة، أما المدرس بدار الحديث فيحصل على يومية مقدارها ١٠٠ أقجة وهو أعلى أجر يومى يحصل عليه مدرس في جميع مدارس الدولة آنذاك. (٤١)

وبعد إنشاء المدارس الموصلة في مدارس السليمانية تم إنشاء مدارس عُرفت بالخوامس السليمانية، حيث أضيفت إلى المدارس السليمانية في القرن الثامن عشر وسارت على نفس نهج مجموعة مدارس السليمانية وبذلك صارت مجموعة السليمانية ١٢ مدرسة. (٤٢)

وفي الحقيقة إذا نظرنا إلى تطور المؤسسات التعليمية في مركز الدولة العثمانية سوف نجد أن أقلهم تطوراً هو القرن السابع عشر، وهذا ما دفع الكثير من المؤرخين المعاصرين إلى التعليق على هذه الأحداث وتحليلها لإظهار سبب هذا التدهور. فنجد حسان كافى الاكسارايى في كتابه " أصول الحكم في نظام العلم" (١٥٧٢م/ ٩٨٠هـ) قد تناول ما أصاب التعليم من تدهور. (٤٣) كذلك

كوتشى بك الذى ألف كتاباً يحمل عنوان " كل طرق الخلل" (١٥٩٢/١٠٠٠هـ) تناول فيه المشاكل التي واجهت تطور المؤسسات التعليمية في تلك الفترة مع تقديم بعض الاقتراحات لإصلاح هذا الخلل. (٤٤) هذا وقد ذكر جليبولي على أن بداية هذا التدهور قد بدأ منذ عصر السلطان سليمان القانونى واستمر في التدهور حتى وصل إلى هذه الحالة من السوء. (٤٥)

وقد اتفقت جميع المصادر المعاصرة التى تناولت هذا التدهور على أسباب واضحة منها:

١- انتساب العلماء إلى الأغوات والباشوات.

٢- جهل المدرسين والقضاة.

٣- اختلاط الفضلاء والجهلة في ميدان التدريس.

وعلى الرغم من ذلك كان هناك الكثير من المحاولات الجادة لاصلاح التدهور الذى صاحب العملية التعليمية خلال القرن السابع عشر. فبخصوص ذلك ورد أكثر من خط همايونى وعدد من القوانين الإصلاحية، منها على سبيل المثال قانون الإصلاح في عهد السلطان مراد الثالث والذى ورد ذكره في دفتر المهمة المؤرخ بعام ١٥٧٧م/ ٩٨٣. (٤٦) كذلك القانون الذي وضعه السلطان أحمد الثالث عام ١٧٢٤م وهو عبارة عن عدة أوامر لمصلحى التعليم. وقد حدد هذه الإصلاحات ساتشاكلى زادة في كتابه "ترتيب العلوم" وهو كتاب يوضح كيفية إدارة المدارس. (٤٧) كذلك السلطان محمود الأول الذي كلّف شيخ الإسلام مرتضى أفندى عام ١٧٤١م بإصلاح أحوال التعليم، كذلك سليم الثالث الذى كلّف شيخ الإسلام حميد زاده مصطفى أفندى عام ١٧٨٨م بإصلاح التعليم ووضع نظام

إدارى متماسك للمدارس في جميع مراحلها.[٤٨] وبالطبع إن دل ذلك فيدل على أهمية العلم والتعليم عند سلاطين الدولة العثمانية ورغبتهم الحقيقية في إصلاح أحواله دائماً ودعم كل فكرة أو اقتراح يهدف إلى تحقيق ذلك.

٣- هيئة التدريس والطلاب :

قبل أن نتحدث عن هيئة التدريس بالمدارس النظامية بالدولة كان لابد علينا أن نتعرف فى البداية على طرق التدريس فى المدارس العثمانية. فهذه المدارس كانت لها مكانة خاصة فى تاريخ التعليم الاسلامى استطاعت من خلال مكانتها هذه تحقيق أعلى درجات التعليم وذلك من خلال وضع نظم محددة مستفيدة من تجارب السابقين فى هذا الإطار.

فمنذ عهد السلطان محمد الفاتح كان التدريس فى المدارس العثمانية يخضع لقانون ونظام معين. حيث تبدأ الدروس بعد الفطور وتستمر حتى وقت صلاة الظهر، أما بعد الظهر فإن الطالب يراجع دروسه فى المسجد أو يتجه الى المكتبة للاطلاع على المراجع المتعلقة بدروسه.

وتشير الوثائق العثمانية الى أن الطلاب فى القرن الخامس عشر يدرسون أربع حصص يوميا وفى القرن السادس عشر خمس حصص . فالشيخ حميد الدين أبن أفضل الدين المدرس زمن السلطان محمد الفاتح كان يداوم فى المدرسة أربعة أيام فى الأسبوع، وفى كل يوم يدرس أربع ساعات فيذكر بشأن ذلك مجدى محمد أفندى" كان الشيخ يداوم أربعة أيام فى المدرسة ،وكعادته التى عرف بها كان يدرس أربع ساعات فى اليوم حيث يبذل كل طاقته كى يستفيد الطلاب من كل دقيقة يكون فيها معهم. وفى القرن السادس عشر زادت عدد

الحصص حصة واحدة فأصبحت خمس حصص. فقد اشترط السلطان القانونى على مدرسى السليمانية فى استانبول وكذلك ولده السلطان سليم الثانى على مدرسى السليمية فى أدرنة أن يدرسوا كل يوم خمس حصص. ويكون يوم الثلاثاء هو يوم العطلة الأسبوعية فى المدارس العثمانية، بالإضافة إلى الدروس التى تعطل فى الأعياد الدينية والليالى الفضيلة. وتذكر بعض المصادر أن المدارس كانت تعطّل فى بعض الأحيان أيام الثلاثاء والخميس والجمعة. وأغلب الظن أن مثل هذه العطّلة هى أطول العطل. أضف إلى ذلك العطّل السنوية والتى كانت تواكب فى أغلب الأحيان تصادف شهر رمضان الكريم ، حيث يتوجّه الطلاب إلى مدنهم وقراهم لقضاء هذه المناسبة مع أهاليهم ، وعلى الرغم من ذلك فكانت هذه العطلة أيضا فرصة لتدريب أنفسهم بطريقة عملية على مادرسوه فى الفترات السابقة مثل إلقاء الخطب والوعظ وغيرها من الأمور الدينية الأخرى.

بعد أن تعرّفنا على طرق التدريس بالمدارس العثمانية نعود مرة أخرى إلى القائمين على هذه العملية.

فعلى أية حال، فقد كانت عضوية أى مدرسة في تلك الفترة تتكون من أعضاء هيئة تدريس وهم المدرسون ويعاونهم مجموعة من المعيدين والملازمين، فضلاً عن طلاب العلم في هذه المدارس.

أ) المدرس (البروفسور) :

من المعروف أن المدارس التى عرفت "بالنظامية" هى المؤسسات التى تقوم بنشاطات تعليمية على مستوى عال، ولذلك فقد أطلق عل الذى يقوم بعمل التدريس فى المدارس العثمانية المدرس أو البروفسور.

طرأت على وظيفة التدريس ضوابط وقيود لم تكن موجودة من قبل، فلم يعد القيام بها مباحاً لكل من تصدًّر لها، وإنما أصبح المدرس يعين في كثير من الأحيان من قبل السلطان أو الصدر الأعظم أو قاضى العسكر أو قاضى الروملى، ولابد في النهاية الحصول على براءة للتدريس ممهورة بختم السلطان، وهذا يدل على أهمية الوظيفة بالنسبة للسلطان العثماني وإصراره على أن تسير العملية التعليمية في أحسن صورة.

وكان من مهام المدرس في مدرسته كما ذكره السبكى (١١) فقد حق عليه إلقاء الدرس وتفهميه للحاضرين ثم إن كانوا مبتدئين فلا يلقى ما لا يناسبهم من المشكلات، بل يدرسهم ويأخذهم بالأهون فالأهون إلى أن ينتهوا إلى درجة التحقيق، وإن كانوا متفهمين فلا يلقى عليهم الواضحات بل يدل بهم في مشكلات الفقه ويخوض بهم عبابه الزاخر". (٤٩)

لكن كان هناك وظيفة أخرى أساسية للمدرس هي منح الطلاب شهادة الإجازة وهي الشهادة التي تفيد إنتهاء مدة دراستهم (شهادة التخرج) وهي شهادة تؤهلهم للعمل في وظائف الدولة الكبرى منها والصغرى، وبالطبع بحسب الشهادة التي حصل عليها هؤلاء الطلاب ومدة دراستهم في هذه المدارس. (٥٠)

فضلاً عن تعيين عدد من الطلاب المتفوقين من الدفعة الحاصلة على الإجازة في وظائف المعيد والذى بدوره يصبح ملازماً بعد مرور مدة محدودة

(في بعض الأحيان تصل إلى ثلاث سنوات)، بعدها يستطيع أن يكون مدرساً في إحدى المدارس العشرينية والتي تعتبر بداية السلك الوظيفي للمدرس من حيث الخبرة والراتب أو الأجر اليومي الذى سيحصل عليه.

على أية حال ورغم هذا التدرج الطبيعي من وظيفة المعيد حتى وظيفة المدرس، إلا أنها في الحقيقة لم تكن تسير بشكل تلقائي أي لا يوجد أي قانون يبيح ترقى الملازم إلى مدرس بصورة مباشرة، إنما كان هناك امتحان صعب للملازمين الراغبين في العمل كمدرسين. وكان هذا الامتحان يعقد في الغالب في أحد المساجد الكبرى في استنابول (في أغلب الأحيان في جامع السلطان محمد الفاتح) وبحضور قاضي عسكر الرومللي وقاضي عسكر الأناضول. وكان هذا الامتحان عبارة عن موضوع معين يحدده قضاه العسكر، على أن يقوم الملازم المرشح للتدريس بشرح هذا الموضوع كما لو أنه مدرس أمام طلابه، وفي حالة نجاحه واجتيازه لهذا الامتحان يبدأ السلك التدريسي من بدايته كما ذكرنا من قبل.[٥١]

وحتى يتم ضبط عملية تعيين وترقية المدرسين، وضع قانون خاص بهم زمن السلطان القانوني قام بصياغته ونشره خير الدين أفندى عام ١٥٤٣م في كتابه "قانون المدرسين"[٥٢] . لكن وعلى الرغم من كل هذه الضوابط إلا أننا نجد بعض الخلل قد تسرب داخل العملية التعليمية حتى وصل ذروته خلال القرن السابع عشر.

وقد بدأ هذا الخلل حقيقة منذ تشجيع السلطان القانونى بعض مواليه للعمل بالتدريس على الرغم من عدم قدرتهم وخبرتهم وعلمهم للقيام بهذا العمل الهام وكانت هي البداية.

وقد ظهر هذا الخلل بصورة واضحة في التدرج الوظيفى للمدرس فنجد خلال هذا القرن بعض الطلاب الذين حصلوا على الإجازة الدراسية قد عينوا مباشرة في مدارس الأربعين دون المرور على مدارس العشرين والثلاثين لاكتساب الخبرة المطلوبة للتدريس في مدارس الأربعين، وهذا بالطبع أثر بصورة سلبية على مسيرة الحياة العلمية في الدولة.

لكن بالعودة مرة أخرى إلى القانون الذي حدَّد عمل المدرسين بعيداً عن القرن السابع عشر ومساوئه، ومدة عملهم في المدرسة حتى يحصلوا على الترقية سوف نجد أن هذا القانون لم يحدد مدة معينة للترقى إلى المستوى الأعلى وأن كل مدرسة كان لها ظروفها الخاصة، فعلى سبيل المثال نجد المدرس في مدرسة صحن الثمانية كان عليه البقاء بها لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات حتى يحصل على الترقية سواء الوظيفية أو المادية. (٥٣)

لكن وللحصول على هذه الترقية كان لابد أن يحصل على براءة سلطانية تفيد ذلك. وكانت هذه الترقية في معظم الأحيان تتراوح بين ٥إلى ١٠ أقجة يومياً. وفي بعض الأحيان كان المدرس يرفض الترقى إلى وظيفة أعلى والإصرار على بقائه في مدرسته، وفي هذه الحالة يطبق عليه الترقى المادي فقط مع تحقيق رغبته في البقاء بمدرسته. (٥٤)

وعلى الرغم من تحديد أجر المدرس اليومى في المدرسة التي كان يعمل بها طبقا لدرجته المالية، إلا أن هناك بعض الحالات الشاذة التي تم رصدها فيما يتعلق بالأجور اليومية للمدرسين، فوصل أجر أحد المدرسين اليومي على سبيل المثال إلى ١٥٠ أقجة وهو راتب مرتفع للغاية، لكن يبدو أن هذا المدرس كان أصلا أحد قضاة العسكر السابقين أو أحد كبار رجال الدولة الذي انتهت مدته. وبالطبع لم يكن لهذا المرتب أو الأجر اليومى أدنى علاقة بكفاءته العلمية. لكن ليس معنى هذا أن كل من لا يستحق قد حصل على أجر يومى بهذا القدر، والدليل على ذلك أن العالم الشهير على كوشتشو المدرس بمدرسة الستين قد حصل على أجر يومى مقداره ٢٠٠أقجة يومية.[٥٥]

أما فيما يتعلق بعزل المدرس من وظيفته فهو باق في وظيفته طالما يمشي على الدرب الصحيح، لكن إذا حاد عنه عزل من وظيفته، وفى أغلب الأحيان كان أسباب العزل واضحة ومنها على سبيل المثال:

١- البعد عن الشريعة الإسلامية في مناهج التدريس.

٢- عدم طاعة الأوامر وسوء التصرفات والأخلاق.

٣- بيع وظيفة الملازمة ووظيفة المعيد لمن لا يستحق.

فمثلاً تم فصل فهمى أفندى المدرس بمدرسة السلطانة خديجة باستانبول عام ١٥٩٣م بسبب التطاول باللفظ على الصدر الأعظم فرهاد باشا[٥٦] كذلك فصل قصاب زادة عبد الرحيم أفندى المدرس بمدرسة صحي الثمانية عام ١٥٧٤ لبيعه وظيفة الإعادة والتكسب منها دون حق[٥٧] خلاف ذلك يستطيع المدرس البقاء في وظيفته حتى اعتزاله أو وفاته.

ب- المعيد:

عرف القلقشندى وظيفة المعيد بأنها "إعادة ما ألقاه المدرس بعد انصرافه للطلبة ليفهموه ويحسنوه"(٥٨)، أما السُبكى فعُرِّفه بأن عليه قدراً زاد على سماع الدرس متى تفهم بعض الطلبة وتقعسهم وعمل ما تقضيه لفظ الإعادة وإلا فهو والفقيه سواء فما يكون قد شكر الله تعالى على وظيفة الإعادة.(٥٩) فوظيفة المعيد إذاً هي مساعدة للمدرس، وإعادة المعلومات على الطلبة، فهو أكبر منهم درجة ويجلس معهم ليستمع إلى ما يعطيه المدرس، وبعد ذلك يرجع إليه الطلاب ليشرح ما قد يكون قد صعب فهمه عليهم.(٦٠)

أما فيما يتعلق بتعيين المعيد في إحدى المدارس فكان هناك قانون يحدد هذا التعيين في مركز الدولة، حيث كان للمدرس الحق في تعيين أحد الطلاب النابهين معيداً لمساعدته ولكن لا يتم ذلك إلا في المدارس الأقل من مدرسة الخمسين، أما اعتباراً من هذه المدرسة وحتى نهاية السلك الوظيفي فهناك قيود أخرى وإشراف رسمى من الدولة للتعيين، مثل الامتحان الشفوى، والمعلومات العامة وغيرها. وكان قضاه العسكر يشرفون على هذه الامتحانات، ولا يتم التعيين إلا بتصديق من الصدر الأعظم شخصياً.وبشأن هذا نجد بعض العبارات فى وقفيات بعض السلاطين تبرز أهمية هذه الوظيفة فنجد فى وقفية السلطان الفاتح حول المعيد"، ويكون فريدا بين أقرانه فى الفكر الجديد والرأى السديد وماهرا فى تعلم واكتساب المطولات " بينما تذكر وقفية السليمانية " ويعيِّن المعيد من بين طلاب العلم الذين يمتازون بالمعارف والفضيلة ولديهم استعداد

للارتقاء من رتبة الاستفادة إلى درجة الإفادة ويكون أجرهم اليومي خمس أقجات"[٦١]

أما المدة التي كان يتطلبها المعيد للحصول على براءة التدريس مروراً بالملازمة، فهي مدة غير محددة، لكن على أية حال – وكما ورد عن مدارس صحن الثمانية – أنه لابد أن يمكث في المدرسة لمدة عامين على الأقل يمر خلالها بالملازمة، وبعد ذلك يعقد له امتحان كما ذكرنا من قبل، يفيد قبوله أو عدم قبوله بمهنة التدريس، وفي حالة نجاحه يبدأ السلك الوظيفي التدريسي من البداية.[٦٢]

أما عن مرتب المعيد أو يوميته فكانت أقل بكثير من مرتب المدرس، حيث كان يحصل على أجر يومي مقداره خمسة أقجة، بالإضافة إلى حصة من الطعام والملابس يحصل عليها من الحصيلة الموزعة على الطلاب.[٦٣]

جـ- الطلاب:

عرف الطلاب في المصادر العثمانية بعدة أسماء منها طالب وتلميذ وبالطبع هذه الأسماء مأخوذة عن النظم العربية، أما في عصر السلاجقة عرفوُا باسم الفقيه أو الملازم بالإضافة لاستخدامهم المصطلحات المستخدمة في بلاد الفرس ومنها عالم وعاقل والكلمة الأصلية وهي دانشمند، كما استخدموا كلمة سختة ومعناها طلاب المدرسة، وعلى الرغم من اختلاف مسميات هذه المصطلحات إلا أننا في الحقيقة نجدها قد استخدمت في مواقع معينة بعينها، فنجد على سبيل المثال يطلق مصطلح طلبة وسخته على طلاب الكتاتيب والمدارس الابتدائية، أما

المدارس المتوسطة والعليا فكان طلابها يطلق عليهم مصطلح دانشمند، ولكن نجد أن خلال وضع أى قانون خاص بتنظيم التعليم، والمؤسسات التعليمية لم يفرق هذا القانون بين المصطلحات المختلفة لأسماء الطلاب (الدانشمند – المستعيد– السخته – التلميذ) واعتبارهم جميعاً طلاب. (٦٤)

أما عن مراحل التعليم التى يمر بها الطلاب حتى حصولهم على الإجازة أو شهادة التخرج من المدرسة، فنجد أنها تبدأ من سن الرابعة أو الخامسة في الكتاتيب والتي تعتبر دراسة تمهيدية للتعليم النظامى (مثل مرحلة رياض الأطفال حالياً) والذى يبدأ من خلال مدارس العشرين (حاشية التجريد) حتى دار الحديث ماراً بالمدارس التي ذكرناها من قبل.

وكان الطالب يحصل على شهادة إجازة من المدرس بعد انتهاء مدة الدراسة في مدرسته، ومن هنا يقوم الطالب باختيار مسيرته التالية، إما الاكتفاء بما حصل عليه من تعليم والعمل في إحدى الوظائف المناسبة لمؤهله، أو تقديم هذه الشهادة إلى المدرسة الأعلى للالتحاق بها واستمراره في المرحلة التعليمية. وكان عدد الطلاب بشكل عام في كل مدرسة من هذه المدارس لا يتجاوز ٢٠ طالبا لكل مجموعة، حتى يستطيع المدرس متابعة تلاميذه والإشراف عليهم، وضمان توصيل المعلومة إليهم ببساطة ووضوح(٦٥).

أما عن الرعاية التي كان يحصل عليها الطلاب من حيث إطعامهم، وتوزيع الملابس عليهم وصرف منح لهم، فنجد أن دفاتر الأوقاف الخاصة بمركز الدولة قد امتلأت بمثل هذه الأمور، فعلى سبيل المثال نجد أن هناك قيدًا للطلاب عُرف باسم منحة لطلاب العلم في دفتر أوقاف رقم ٣١٣ بتاريخ ١٥٨٥–

١٦٨٣م وقدره ٢٢٦,٢٣٨ أقجة سنوياً أى بنسبة ١٧,٦٧٪ من إجمالي مخصصات المؤسسات التعليمية.[٦٦]

نستخلص من العرض السابق أن المؤسسات التعليمية النظامية المدنية قد سارت بصورة جيدة إلى حد ما دون النظر إلى بعض الخلل الذى أصابها خلال القرن السابع عشر والذي تدهورت فيه أحوال هذه المؤسسات لأسباب ذكرناها من قبل، وعلى الرغم من ذلك كان هناك محاولات جادة من السلاطين العثمانيين ورجال العلم في الدولة للقضاء على هذا الخلل من خلال وضع قوانين ونظم والذى استعاد عافيته من جديد منذ بدايات القرن الثامن عشر واستمر بصورته هذه دون أدنى تغيير حتى بداية عصر التنظيمات المجيدية عام ١٨٣٩م والتى أدخلت نظماً جديدة في إدارة المؤسسات التعليمية، لكنه وعلى الرغم من ذلك لم يستطع عزل النظام التعليمى السابق في الدولة العثمانية والذى عُرف باسم العصر الكلاسيكي عن النظم التعليمية الجديدة.

ب- مؤسسة التعليم العسكرى:

بعد القصور الذى واجه السلطان عثمان غازى والسلطان أورخان في الجيش الذى اعتمدوا عليه في فتوحاتهم وهو من جيش المتطوعين، والذى ظهر بصورة واضحة أثناء حصارهم واقتحامهم مدينة بورصة والاستيلاء عليها عام ١٣٢٦م، فقد قرر السلطان أورخان منذ هذه اللحظة وقبل الخوض في معركة جديدة واستمراراً لفتوحاته المرتقبة خاصة مدينة أزنيك والمخطط لاقتحامها، الاستعانة بجيش مدرب على أسس علمية منظمة حتى لا تعانى ما عاناه من

قبل، لذلك أصدر تكليفاته إلى تشاندرلى كارا خليل قاضي بورصة للقيام بهذه المهمة، وبالفعل قام تشاندرلى خليل بتكوين أول فرقة عسكرية منظمة من عسكر المشاة و الخيالة(١٠٠ من المشاة + ١٠٠٠ من الخيالة) وحدَّد لهم علوفة يومية بحسب رتبتهم العسكرية وبذلك بدأت النواه الأولى لتكوين الجيش النظامي العثماني، والذي ساهم بعد ذلك بالفتوحات العظيمة في المشرق والمغرب.[٦٧] لذلك فكان فكر أورخان غازى قائماً على تكوين جيش منظم على أسس علمية، بعيداً عن العشوائية التي كانت سائدة من قبل، ورأى أن هذه الأسس لابد أن تبدأ داخل كل فرقة عسكرية.

فبدأ جنباً إلى جنب بتدعيم الفرق العسكرية بالسلاح والعتاد والأفراد وتدعيم الأفراد بالعلم والمعرفة العامة سواء العلوم الدينية أو العلوم العسكرية، وحتى لا يكون هناك عشوائية في إدارة المؤسسات التعليمية العسكرية، فقد حدَّد الخبراء النظام التعليمي بهذه المؤسسة معتمدين على ما لديهم من خبرات في إدارة المؤسسات التعليمية المدنية، ورأوا أن أول خطوة لهذه المؤسسة هو التدُّرج في المستوى التعليم من الأدنى إلى الأعلى حتى الوصول إلى أعلى درجات التعليم العسكرى والذى بدوره سيخدم الجيش والأسطول العثماني.

١- مدارس التعليم الابتدائي ومنها:

أ- مدارس أوجاق أولاد العجم:

مع مطلع القرن السادس عشر الميلادى، كان الجيش العثماني يتشكل من ثلاثة عناصر أساسية: قوات قابو قولى (الدركاه العالى- خدم الباب السلطانى)، وقوات الولايات، وقوات البحرية، ولما زادت حاجة الدولة لإعداد أكثر من الجنود النظاميين، على أثر اتساع الفتوحات، ونظراً لطول الجهات على حدود الدولة شرقاً وغرباً، بدأت تستفيد من أسرى الحرب، وكان يخص حق الدولة من هؤلاء الأسرى (الخمس) لتشكيل فرق عُرفت باسم أولاد العجم. وقد ظهرت هذه الفرقة لأول مرة في عهد السلطان مراد الأول، وكانت لهم مدرسة في منطقة غاليبولى، وكان هؤلاء الأسرى من صغار السن يرسلون إلى إحدى الأسر التركية في قرى الأناضول لتعلم العقيدة والتقاليد الإسلامية، وذلك حتى سن العاشرة بعد ذلك وحتى سن السابعة عشر يبدأ هؤلاء الأطفال في تعلم بعض العلوم العسكرية، وبعد إتمام تدريباتهم في فرقة أولاد العجم هذه يُنقلون إلى إحدى فرق مشاه " القابوقولي" المختلفة (الانكشارية – المدفعية- العربجية أو غيرها)، أما المتفوقون منهم فكانوا يلحقون بإحدى المدارس السلطانية أو مدرسة الأندرون، وهي مدارس داخلية ملحقة بالقصر السلطاني أو أحد قصور الأمراء وكانت تعد هؤلاء الطلاب لإدارة شئون البلاد. وكان لهؤلاء الطلاب أو العسكر مرتبات دورية كل ثلاثة أشهر من خزينة الدولة مباشرة، ولا يمنحون مقاطعات من أراض الدولة قط[٦٨].

وبعد الانتهاء من مرحلة مدارس أو جاق أولاد العجم يلتحق المتفوقون منهم كما ذكرنا من قبل إلى مدارس الاندرون الداخلية لاستكمال دراستهم، أما باقي طلاب المدرسة فيلتحقون بمدارس أوجاق الانكشارية والتى تعمل على تنمية مهاراتهم العسكرية وتؤهلهم للالتحاق بفرق الصقبان والجماعة المتحدة وأغوات البلوكات.(٦٩)

كذلك يعمل خريجو هذه المدرسة أيضاً في فرقة الجبة جى وهي الفرقة التي تهتم بتوفير كل ما يتعلق بجند الانكشارية من احتياجات ومستلزمات عسكرية كالدروع والسيوف والبنادق والسهام والبارود والرصاص ومختلف أنواع الأسلحة.(٧٠) كذلك فرقة جند المدفعية كانت تستقبل خريجي هذه المدارس، وكان مهامهم في هذه الفرقة سبك المدافع وصناعة قذائفها والعمل على هذا المدفع أثناء القتال. وكان هؤلاء الأفراد عادة يقومون بأداء مهامهم إما في القلاع على الحدود أو داخل استانبول نفسها وإما في ساحات القتال.(٧١)

ب- مدارس الأندرون (مدارس القصور):

تم تأسيس هذه المدرسة اعتباراً من منتصف القرن الخامس عشر تقريباً، وهي ابتكاراً تركى عثمانى من الدرجة الأولى، فلم نسمعه من قبل خلال التاريخ الإسلامى عن مثل هذه النوعية من المدارس وعلى الرغم من التحاق هذه المدارس بالقصور السلطانية أو قصور الأمراء في شكل ظاهرى من التعليم الخاص المستقل عن التعليم النظامى، لكن في الحقيقة نجد أن مدارس الاندرون هذه كان لها منهج محدد ومراحل دراسية معينة وسنوات التحاق وتخرج، لكنها كانت بعيدة

عن إشراف الدولة الرسمى وكانت تحت إشراف إدارة القصر والمتمثل بالطبع في كبار رجال الدولة.

وقد تم إنشاء أول مدرسة للأندرون في عهد السلطان مراد الثانى عام ١٤٤٣م في مدينة أدرنة واستمر في العناية بها السلطان محمد الفاتح، حيث جعلها مدرسة متخصصة في تعليم إدارة شئون الدولة وملكية الأفراد، وقد استمرت هذه المدرسة في أداء مهمتها حتى منتصف القرن السابع عشر تقريباً حيث صدر فرمان من السلطان محمد الرابع بحل هذه المدارس، ولا يوجد سبب واضح لمثل هذا الإجراء. (٧٢)

وقد رصدت بعض المصادر العثمانية بيان بأسماء مدارس الأندرون الملحقة ببعض القصور، ومنها على سبيل المثال مدرسة جلطة سراى وقصر إبراهيم ومدرسة طوب قابى سرايي ومدرسة قصر إسكندر شلبى ومدرسة قصر أدرنة وغيرها. وذكرت هذه المصادر أن طلاب هذه المدارس كان عليهم قبل الالتحاق بها تعلم مبادئ اللغة التركية وأصول الإسلام وآدابه. (٧٣)

وإذا تناولنا إحدى هذه المدارس للتعرف على ما بداخلها من غرف الدراسة، سوف نجد على سبيل المثال مدرسة الأندرون بقصر طوب قابى سرايي قد قسمت إلى ست غرف للتدريس وهي الغرفة الصغيرة والغرفة الكبيرة وجناح الدوغانجى وجناح السفر وجناح الكيلر وغرفة الخزينة وغرفة الخاص، وهذه الغرف كانت مخصصة للتدريس في أوقات معينة من اليوم. (٧٤)

أما عن المناهج الدراسية التي كانت تدرس في هذه المدرسة فقد قسمت على ثلاث سنوات دراسية.

السنة الأولى : تحفيظ أجزاء من القرآن الكريم- تعليم الصلاة – الحساب الذهنى- الخط.

السنة الثانية : تحفيظ أجزاء من القرآن الكريم – تدريس علم الحال – القراءة – الحساب – الإملاء – الخط.

السنة الثالثة : تحفيظ ما تبقى من القرآن الكريم – الإملاء- علم الحال- التجويد- القراءة- الحساب – الخط.

بعد هذه المراحل الدراسية يستطيع الطالب الالتحاق بالمدارس المتوسطة أو المؤهلة أو الموصلة إلى المدارس العليا. (٧٥)

من جهة أخرى ساهمت مدارس القصور أيضاً في العملية التعليمية لكن بصورة مختلفة عن مدارس الأندرون لكنهما يشتركان في كونهما ملحقتين بالقصور السلطانية أو قصور الأمراء، فكانت هذه المدارس الموثوق في قدراتهم العلمية والأخلاقية للقيام بالتدريس لأفراد أسرة السلطان وبعض أفراد من عائلته. وقد بدأت هذه المؤسسة غير النظامية منذ عهد السلطان عثمان غازى(١٢٨١-١٣٢٦) و استمرت طوال العصر العثماني. وقد كان هناك اتصال مباشر بين السلاطين ومدرسى القصر، حيث كان بعض مقترحاتهم بشأن الاصلاحات التي قام بها بعض من هؤلاء السلاطين، بالإضافة للتعرف على المستوى الثقافي والعلمى الذي وصل إليه أبناؤهم ومتابعة ذلك بصورة مستمرة. (٧٦)

كذلك ساهم كبار رجال الدولة بقصورهم في تنظيم التعليم بها، فنجد على سبيل المثال نفشهرلى داماد إبراهيم باشا قد قام بجمع مجموعة من العلماء

الأجلاء للتدريس بقصره، وفي عام ١٧٢٤م قام بعمل مناظرة للتفسير في شهر رمضان.[٧٧]

وقد كان أساس التدريس في هذه القصور قائماً بصورة أساسية على تحفيظ القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والتفسير. وقد حرص بعض السلاطين وكبار رجال الدولة على حضور هذه الدروس التي عُرفت باسم " حضور الدروس"، بل وبلغ الأمر بأن أصدر السلطان مصطفى الثالث عام ١٧٥٨م فرماناً بحضور جميع رجال الدولة هذه الدروس. وقد استمر هذا الفرمان مطبقاً بصورة أساسية حتى عام ١٨٣٦م.[٧٨] وقد رصدت المصادر المعاصرة الأماكن التي كان يتم بها عقد هذه الدروس ومنها، قصر طوب قابى سرايى وقصر مصطفى باشا وحجرة ديوان الأغا وحجرة ديوان المحاسبة وغرفة العمامة وغرفة الطهور ويلدز سرايى ودلما باهشة سرايى وذو الوجهين سوقاسي.[٧٩]

٢- المدارس العسكرية المتوسطة

كانت كما ذكرنا من قبل أنها عبارة عن مدارس موصلة (تمهيدية) بين التعليم الابتدائي و التعليم العالى.

١- السنة الأولى : العلوم الدينية – اللغة العربية- اللغة الفارسية- اللغة العثمانية- الحساب- الإملاء- خط النسخ – خط الرقعة- الرسم.

٢- السنة الثانية: علوم دينية – لغة عربية- لغة فارسية – لغة عثمانية – حساب – جغرافيا- إملاء – خط رقعة.

٣- السنة الثالثة: علوم دينية - إملاء - علم الأخلاق- لغة عربية - لغة فارسية- لغة عثمانية - حساب- جغرافيا- خط نسخ - خط رقعة - رسم.

٤- السنة الرابعة: علوم دينية - علم الأخلاق - لغة عربية - لغة فارسية- لسان عثمانى - حساب - جغرافيا- إملاء- خط نسخ - خط رقعة- رسم.

٥- السنة الخامسة (النهائية): علوم دينية - علم الكلام - تصوير الأخلاق- أدب عثماني- أدب فارسي - منطق - تاريخ عام - جغرافيا عامة - رياضيات (جبر- مثلثات)- العلوم الطبيعية. [٨٠]

٣- المدارس العسكرية العليا:

بعد الإخفاق الذى واجه البحرية العثمانية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، رأت الإدارة العثمانية ضرورة إجراء اصلاحات جوهرية على الأسطول العثماني، واشترطت الإدارة أن تكون هذه الإصلاحات على أسس علمية تواكب التطورات التي صاحبت صناعة السفن والمعدات البحرية والخرائط العسكرية في أوربا. ومن ثم بدأت الإدارة العثمانية الشروع في إنشاء مدارس عسكرية عليا متخصصة في الهندسة البحرية والبرية حتى يتسنى لها تخريج طلاب من هذه المدرسة يعملون كمهندسين بحريين أو مهندسين مدنين في الجيش والأسطول.

أ- مدرسة الهندسة البحرية السلطانية:

تعتبر مدرسة الهندسة البحرية التي قام بإنشائها حسن خوجا الجزائرلي عام ١٧٧٦م بتوصية من البارون الفرنسي دو توت هي أول انفتاح عثماني على العالم الغربي في مجال الهندسة بالبحرية.

وقد كان نواة إنشاء هذه المدرسة، غرفة صغيرة ملحقة بترسانة دارغاجى على خليج بحر مرمرة عُرفت باسم غرفة الهندسة. وقد تم تعيين عدد من المدرسين الفرنسيين للتدريس بها. وقد تم تحديد الأجور اليومية للعاملين في هذه المدرسة على النحو التالى: ٩٠ أقجة للمدرس، ٣٠ أقجة للمساعد، ٢٠ أقجة لأمين العهدة، ١٠ أقجة لكل طالب في هذه المدرسة (الطالب غير البحرى)، ١٢ أقجة للطالب البحرى فضلاً عن ٢٠ قرش شهرياً كبدل طعام للعاملين في المدرسة. [٨١] وكانت الدراسة في هذه المدرسية تستمر لمدة خمسة أيام أسبوعياً، حيث تبدأ من بعد الظهر حتى العصر أو لمدة ثلاث ساعات يومياً. أما العطلة الأسبوعية فكانت يومي الجمعة والأحد.

وقد قسمت المناهج في هذه المدرسية إلى ثلاثة أقسام: **القسم الأول** للحساب والهندسة **والقسم الثاني** للرسم العام ورسم السفن **والقسم الثالث** يكون يوم الجمعة حيث يقوم الطلاب في هذا اليوم بالتدريب وحضور درس عملى لصناعة أو إنشاء إحدى السفن في الترسانة، على أن يقسم هؤلاء الطلاب إلى مجموعات لا تزيد المجموعة منهم على عشرة طلاب.

وفي حالة بروز مجموعة من الطلاب النابهين كان قائد الأسطول العثماني يقوم بالتدريس لهم مرتين أسبوعياً (السبت — الخميس) وذلك في مدرسة الهندسة البرية بمنطقة خاص كوى.(٨٢)

وكما ذكرنا من قبل أن أول مدير لهذه المدرسة كان حسن خوجا الجزائرلى، لكنه رُقى إلى قائد الأسطول العثماني بعد فترة، فتم تعيين سيد عثمان أفندى المدير السابق لمدرسة الهندسة البرية خلفاً له، مستعيناً بأحد تلاميذه النبهاء وهو مولا مصطفى أفندى كمساعد له في إدارة هذه المدرسة.(٨٣)

وبعد حوالى خمس سنوات ونصف من إنشاء هذه المدرسة تم نقلها إلى مبنى مستقل وذلك فى صدارة خليل حامد باشا ورئاسة عطا بك للترسانة البحرية، حيث تم إنشاء المدرسة الجديدة وتم تقسيمها إلى ثلاث غرف للتدريس، وتم تعيين الفرنسى تروجية للتدريس بها والذى كان من قبل يعمل ضابط بحرى كبير في فرقاطة فرنسية تعرف باسم" شارلتون"، واستطاع تروجيه إقناع أحد أصدقائه من الذين عملوا معه في الفرقاطة للعمل معه أيضاً في التدريس بهذه المدرسة وكان يُدعى توندو.(٨٤)

وقد قام تروجيه ومن معه بتدريس الحساب والجغرافيا والخرائط والفيزياء والهندسة بهذه المدرسة. وقام تروجيه بإعداد كتاب دوّن فيه بعض الملاحظات والانطباعات والخبرات المتعلقة بصناعة السفن ورسم الخرائط الهندسة وغيرها، وقام بترجمة هذا العمل إلى التركية كركور ومهران أفندى وأطلقا على كتابهما اسم " أصول المعارف في وجه تصانيف سفن الدونانمة" وذلك عام ١٧٨٢م.

كما التحق للتدريس بهذه المدرسة اثنين من مهندسي القلاع والمدرسان السابقان بمدرسة الهندسة البرية وهما مونية ولافايت وذلك عام ١٧٨٤م. وفي عام ١٧٩٥م استطاع أحد طلاب هذه المدرسة يُدعى مولا مصطفى أن ينشيء سفينة متوسطة لنقل الجنود وذلك بمساعدة أحد زملائه يُدعى أحمد خوجا. وكان هذا العمل يعد إنجازاً كبيراً لأحد طلاب هذ ه المدرسة. هذا وقد أضيف قسم جديد إلى هذه المدرسة وهو قسم الخرائط الخاصة وسير السفن، أشرف عليه مهندس فرنسي يُدعى بارلييه. [٨٥]

وفي عام ١٨٠٥ تم فصل قسم سير السفن نهائيًا عن الأقسام الأخرى وتم اختيار مجموعة من الطلاب يتراوح بين ٣٠-٣٥ طالب للالتحاق بهذا القسم وكان يشرف عليهم أحد المدرسين المتخصصين ويعاونه اثنان من المساعدين. بعد ذلك يعقد امتحان خاص لهؤلاء الطلاب عملياً ونظرياً لاختيار ٢٠ طالب فقط منهم للعمل في الترسانة البحرية. وفي بعض الأحيان كان يقوم أحد المدرسين المتخصصين بعقد دورة خاصة لهذا القسم عن طريق اختيار مجموعة من الصبيان تتراوح أعمارهم بين ١٢ : ٢٠ عاماً يقوم بتدريبهم، فإن برز منهم عنصرًا جيدًا قام بإلحاقه بمدرسة الهندسة البحرية. [٨٦]

وللمرة الثانية تم نقل مقر مدرسة الهندسة البحرية إلى ترسانة بارماق قابى على يد قاسم باشا وذلك بعد الحريق الذي دمر المدرسة السابقة، وقام بإجراء بعض الإصلاحات بها، حيث نقل قسم سير السفن إلى منطقة حى بليادا وذلك عام ١٨٢٨م. واستمر وضع هذه المدرسة بهذه الصورة دون أدنى تغيير حتى عام ١٨٣٨م وهو العام الذى بدأ فيه السلطان عبد المجيد إجراء

إصلاحاته الشاملة في الدولة وبالطبع كان لهذه المدرسة نصيب من هذه الاصلاحات.[٨٧]

ب- مدرسة الهندسة البرية السلطانية:

تم افتتاح هذه المدرسة في عهد السلطان سليم الثالث كخطوة من خطوات الاصلاح التي قام بها في البلاد. وقد ألحقت هذه المدرسة في البداية بمدرسة الهندسة البحرية بالخليج. وتخصصت هذه المدرسة في تخريج مهندسى المباني والمدفعية والألغام. وفي عام ١٧٩٣م تم نقل هذه المدرسة إلى مبنى مستقل بها. وقد بلغ عدد طلاب هذه المدرسة ٨٠ طالب منهم ٥٠ لصناعة الألغام و ٣٠ لصناعة المدافع. وكان هيئة التدريس بهذه المدرسة من المهندسين الفرنسيين والروس مثلها مثل مدرسة الهندسة البحرية وكان لكل مدرس من هؤلاء المدرسين أربع مساعدين. وعن مدة الدراسة بهذه المدرسة فكانت أربع سنوات موزعة كالتالي:

١- السنة الأولى: جودة الخط – الإملاء- الرسم – لغة عربية – مقدمات الهندسة- الأرقام- اللغة الفرنسية.

٢- السنة الثانية: علم الحساب – أصول الهندسة- جغرافيا- لغة عربية- لغة فرنسية.

٣- السنة الثالثة: جغرافيا- مثلثات مستوية- جبر- تخطيط أراضى- تاريخ الحرب.

٤- السنة الرابعة (النهائية): فن المخروطيات – حساب التفاضل والتكامل- جر أثقال- علم الفلك- فن الرسم- فن صناعة اللغم- تعليم النظريات. (٨٨)

على أية حال، وفي النهاية سوف نجد أن الإدارة العثمانية رغم اعتمادها الأساسي على الفرنسيين والروس في التدريس بمدارس الهندسة بنوعيها إلا أنهم كانوا دائماً حريصين على خلق كوادر جديدة من المدرسين الأتراك، والحق يُقال لم يبخل هؤلاء المدرسين الأجانب على الطلاب الأتراك بعلمهم ومعرفتهم، كذلك لم يبخلوا على تهيئة من رغب منهم في التدريس ليكون مدرساً ناجحاً.

وبالفعل بدأ ظهور كوادر تركية في هذه المدارس أثبتوا كفاءتهم في التدريس بهذه المدارس، فنذكر في مدرسة الهندسة البحرية إبراهيم أفندى قصاب زادة وجلنبوى إسماعيل وبلابيك محمد أفندى والذين قد تم تعيينهم مدرسين بهذه المدرسة، كذلك حسين أفندى الكبير والذي كان أول المعينين في مدرسة الهندسة البرية ثم تبعه عبد الرحمن أفندى وإسحاق أفندى وثاقب أفندى ويحى أفندى. وقد كان لحسين لحسين أفندى السبق بالترجمات والنقول التى قام بها فى ادخال العلوم الحديثة إلى الدولة العثمانية وتقديم العديد من الكتب التى ظل تدريسها جاريا سنوات طويلة ككتب اساسية فى المهندسخانات والمدارس العسكرية الأخرى. وظل منذ تأسيس المهندسخانة عام ١٧٩٣ وتعيينه عليها وهو يعمل فيها بوظائف ودرجات مختلفة امتدت أربعة وعشرين عاما حتى وفاته عام ١٨١٧.وقد كان بواكير أعماله "رسالة

اللوغاريتمات" التى ترجمها عام ١٧٩٣ تلاها أصول الهندسة ١٧٩٧ ، ومجموعة المهندسين ١٨٠٢ ، وامتحان المهندسين ١٨٠٥ وتلخيص الاشكال التى طبعت فى

استانبول ومصر بين عامى ١٨٠٠-١٨٢٣ ، وله أيضا مؤلفات أصول إنشاء الطريق ورسالة الارتفاع وجول القذائف والمثلثات المستوية وغير ذلك. ومن خلال مؤلفاته هذه استطاع بدء أول حملة نحو توليفة عثمانية غربية، فهو يمثل حلقة من الكتابة العلمية العثمانية التى انتقلت من صيغة العلم الإسلامى إلى العلم الغربى.

أما إسحاق أفندى الذى عيِّن معلما اول عام ١٨٣٠م فقد بدا عهدا جديدا فى مناهج تعليم المهندسخانة، وحفز حركة التحديث فى الجانب التنظيمى والجانب العلمى على حد سواء، وقد بدت شهرته فى الأساس لحركة الترجمة التى أطلقها فى مجال العلم الحديث، فقد قام خلال الفترة من ١٨٢٦-١٨٣٤ بإعداد عشرة كتب تقع فى ثلاثة عشر مجلدا كانت تشكل الكتب المدرسية الأساسية فى العلوم الطبيعية، وكانت لها الريادة فى بدء تعليم العلم الحديث داخل المهنسخانة. وكان أهم مايميز هذه المصادر التى اعتمد بالدرجة الاولى على نقلها أو اقتباسها من المصادر الأوربية ،حرصه على استخدام المصطلحات العثمانية على الرغم من الصعوبة التى واجهها فى ذلك. هذا بالإضافة إلى كتابيه "ركز ونصب الخيام" و"تحفة الأمراء فى حفظ القلاع". أما الكتاب الكبير الذى يقع فى أربعة مجلدات وكان السبب وراء الشهرة التى حظى بها فهو " مجموعة العلوم الرياضية" التى جمعها من كتب العلوم

الأوربية فى ذلك العهد. كذلك يوجد له كتابان آخران كل منهما فى مجلد واحد هما" أصول الاستحكامات" عام ١٨٣٤م والثانى "عكس المرايا فى أخذ الزوايا"١٨٣٥م.

وقد تم تعيين جميع هؤلاء المدرسين بناءًا على طلب الإدارة العثمانية من فرنسا وروسيا بسحب جميع مدرسيهم من هذه المدارس مع تقديم خالص الشكر والتقدير والعرفان لهم. وفي الحقيقة لم تنزعج فرنسا أو روسيا من مطالب الإدارة العثمانية بشأن ذلك. (٨٩)

جـ- مدرسة الطب العامرة ومدرسة الجراحة المعمورة:

تم إنشاء هذه المدرسة إلى جانب دور الشفاء التي أنشئت من قبل، لكن على النظم الأوربية الحديثة. وقد تم إنشاء أول مدرسة من هذا النوع المتقدم عام ١٨٠٥م في مدينة استانبول وملحقة بالكلية التي أنشأها السلطان محمد الفاتح من قبل.وكان الهدف من انشاء هذه المدرسة التى أخذت فكرة انشائها من مدرسة المهندسخانة الجديدة تحت اسم "مدرسة طب الترسانة"(ترسانة طبية سى) ، تلبية الحاجة إلى الأطباء والجراحين فى الأسطول داخل الترسانة العامرة ثم العمل وهو الأهم على نشر التعليم الطبى فى الأراضى العثمانية وزيادة عدد الاطباء من رعايا الدولة. وكان التفكير أن يكون التدريس فيها باحدى اللغات الأوربية كالإيطالية أو الفرنسية، كما تقرر بأن يجرى استيراد الكتب والأدوات اللازمة للعملية التعليمية من أوربا. والأطرف من كل ذلك أنهم فكروا فوق هذا فى شراء الكتب والدوريات الطبية التى تصدر شهريا فى كبريات المدن

الأوربية مثل باريس وفينا ولندن. غير أن نشاط هذه المدرسة لم يدم طويلا، فلم يمضى عامان على تأسيسها حتى اشتعلت" ثورة قباقجى"، ثم أعقبها خلع السلطان سليم عن العرش وتولى السلطان مصطفى مكانه، ثم "حادثة العلمدار" التى ظهرت عقب مدة قصيرة من حكمة قدرها ثمانية أشهر، ثم مقتل السلطان سليم الثالث وتولى محمود الثانى العرش، وغير ذلك من الأحداث العظام التى عصفت بالبلاد، مما يجعلنا نعتقد أن نشاط المدرسة توقف أثناءها. ورغم ذلك واثناء كل هذه الأحداث العاصفة ظهرت شخصيتان بارزتان كان لهما الفضل فى توجيه الطب الحديث عند العثمانيين، هما شانى زادة محمد عطاء الله أفندى ١٨٢٦م والذى احتل مكانة متميزة فى أدبيات الطب العثمانى ونقل علم التشريح الأوربى، وكان له كتاب مشهور فى الطب يقع فى خمسة فصول تحت عنوان "خمسة شانى زاده". أما الشخصية الثانية فهو الحكيمباشى مصطفى بهجت أفندى واضع أسس التعليم الطبى الحديث فى الإمبراطورية العثمانية. وقد استمرت هذه المدرسة على نحو ما أنشئت عليه حتى عام ١٨٢٢م.

لكن في عام ١٨٢٧ تم وضع شرط للعمل في هذه المدرسة وهو أن يكون الأطباء العاملون بها من المسلمين لذلك في ١٤ مارس عام ١٨٢٨ تم إنشاء مدرسة جديدة للطب عُرفت باسم "مدرسة الطب العامرة ومدرسة الجراحة المعمورة" في منطقة تولومباجي، وتم تعيين مصطفى باهشة أفندى حكيم باشى (رئيس الأطباء) في هذه المدرسة. وكانت مدة الدراسة في هذه المدرسة ٤ سنوات، وكانت المناهج التي تُدرس بها.

اللغة العربية– الإملاء – الكتابة – علوم الأدوية– النباتات– علم العلل والأمراض– علم الحال– رسالة البرجوى واللغة الفرنسية ودروس في الجراحة النظرية والعملية. وفي عام ١٨٣١م تمَّ تخصص ثلاثة أجنحة لأقسام الجراحة في حديقة كلخانة الملاصقة لسراى طوب قابى.ثم لم تلبث دار الطب أن نقلت هى الأخرى فى نفس العام من مكانها فى شهزادة إلى مباني دار الجراحة وأعيد تنظيمها من جديد، ودعى للتدريس فيها من فرنسا الجراح ساد دى غالبير الى جانب بعض الأطباء الأوربيين ثم جرى تعيينه معلما ومديرا للمدرسة. وفى عام ١٨٣٨ تم دمج هاتين المدرستين فى مدرسة واحدة عرفت باسم" مدرسة الطب" واستمرت تواصل نشاطها حتى جرى نقلها الى المبنى الجديد فى جلطة سراى عام ١٨٣٩ . وتم تعيين شاب نمساوى هو س. امبرواز برنارد مديرا لهذه المدرسة. ومما يلفت الأنظار أثناء وجود الدكتور برنارد وقوع بعض التغييرات فى الجانب التربوى أكثر من جانب التعليم الطبى. وكان نظام اجتياز الفصل الدراسى أو المواد الدراسية الجارى تدريسها فى المؤسسات التعليمية العالية هو نظام التسلسل، فكان يعوق تخريج الطلاب ويحد فى الوقت نفسه من أعدادهم رغم طول المدة. وفى رئاسة برنارد للمدرسة (١٨٣٩–١٨٤٤م) تم لأول مرة تشكيل صفين فى المدرسة أحدهما لمن يعرف الفرنسية والثانى لمن لايعرفونها، وهذا بالطبع أوجد نوع من القصور فى هذه المدارس، بالإضافة إلى أن هذه المدرسة كانت قاصرة على الطلاب المسلمين وحدهم مما اضطر بعض رعايا الدولة الغير المسلمين لاعتناق الاسلام للقيد فى هذه المدرسة(مع اعلان التنظيمات الخيرية عام ١٨٣٩م أصبح فى وسع الطلاب من الرعايا غير

المسلمين أن يلتحقوا بها هم الآخرون) . على أية حال استمرت هذه الأجنحة الطبية داخل هذه المدرسة تقوم بأداء عملها سواء للتدريس العملى لطلاب الطب أو لإجراء بعض الجراحات لأهالى المنطقة حتى عام ١٩٠٣م حيث تم تحويلها إلى منطقة حيدر باشا بعد أن أصبحت تعرف باسم كلية الطب العسكرية.

وسوف نجد أن اللغة التي كان يدرس بها طلاب الطب في هذه المدرسة اللغة الفرنسية وذلك حتى عام ١٨٦٨م ثم تحولت إلى اللغة التركية بعد ذلك والتى كانت أساس الدراسة في مدرسة الطب العسكرية سابقة الذكر.(٩٠)

في النهاية وبعد العرض السابق لتطور المؤسسات التعليمية في مركز الدولة العثمانية سواء المدنية أو العسكرية نجد أن الإدارة العثمانية كانت حريصة كل الحرص على إدارة هذه المؤسسات بصورة جيدة، على الرغم من وجود بعض الكبوات التي واجهتها خاصة أثناء القرن السابع عشر، لكنها لم تقف مكتوفة الأيدى أمام هذه الكبوات، بل حاولت بكل جدية إصلاح ما شابها من تدهور وقصور، وبالفعل نجحت بشكل كبير في العودة إلى المنظومة التي قدرتها من قبل وساعدها على ذلك قناعة السلاطين العثمانيين بضرورة المشى على الدرب الصحيح في هذه المنظومة وقناعتهم التامة بأهمية العلم والتعليم وتقديرهم للعلماء والمدرسين.

الهوامش

1- Hasan Yüksel, Osmanlı, Sosyal ve Ekonomik, Hayatında Vakıfların Rolü, Sivas, 1998, S.13,14.

٢- هاملتون جب وهارولد بووين، المجتمع الإسلامى والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، سلسلة تاريخ المصريين، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٩، صفحة ١٦٣.

٣- نفسه.

4- I. Hakki Uzunçarşılı, Osmanlı Tarihi, Türk Tarih Kurmu, Ankara 1995, c. II, S. 583, 164 جب المراجع السابق، صفحة ١٦٤.

5- Cihat Baltaci, Osmanlı Eğitim sistemi, Osmanlı Ansiklopedisi, Yeni Şafak, Istanbul, 1996, C. II, S.23.

٦- بالرجوع إلى دفتر أوقاف رقم ٣١٣ والمحفوظ بالأرشيف العثماني برئاسة مجلس الوزراء التركى باستانبول تبين لنا أن في الفترة من عام ١٥٨٥-١٦٨٣ تم إنشاء وتجديد ١٩٥ وقف للمؤسسات التعليمية بنسبة ٨,٣٥% من جملة الأوقاف العامة في ذلك التاريخ. وبإيراد يبلغ ١,٢٧٩,٢٥٣ أقجة أي بنسبة ٦,٧٥% من إجمالى الإيرادات العامة للأوقاف في تلك الفترة.
(الأرشيف العثماني برئاسة بمجلس الوزراء التركى باستانبول، دفتر أوقاف رقم ٣١٣ (١٥٨٥- ١٦٨٣).

٧- ذكر الرحالة التركي الشهير Evliye Çelebi عن مدينة استانبول، أن عدد مدراسها حين زراها بلغ ١٩٣٣ مدرسة متنوعة المراحل Evliye Çelebi, (Seyahatname, Istanbul, 1314,S.94).

٨- سوف نجد أن الحصول على الشهادة الدراسية المتممة لمرحلة معينة لا تكفي أيضاً بل كان على الدارس المنتهية فترة دراسته الدخول في امتحان جديد

يحضره قاضى العسكر وقاضى الروملى وأحياناً الصدر الأعظم كمندوب عن السلطان في إحدى المساجد الكبرى في استانبول مثل جامع السلطان أيوب أو جامع الفاتح وإذا نجح في هذا الامتحان يحصل على شهادة أو براءة تفيد صلاحيته في التعيين بإحدى الوظائف الحكومية المعلن عنها.(Baltaci, Cihat, xv-xvi Asırlarda Osmanlı Medreseleri, Istanbul, 1979, S. 82).

9- Yinanç, M. Halil, Selçuklu Devri Türkiye Tarihi I, Anadolu'nun Fethi, İstanbul, 1944, S. 23, 24.

10- Uzunçarşili, a.g.e.,s.647.

١١- سوف نجد أن السلاطين العثمانيين قد حرصوا على استقدام مدرسين من مصر والشام التدريس العلوم النقلية ومدرسين من سمرقند لتدريس العلوم العقلية(Cihat, Baltaci, a.g.e., S55).

12- Bilge, Mustafa, Ilk Devri Osmanlı, Medreseleri, Istanbul. 1984, S. 17, Akyüz, Yahya, Türk Eğitim Tarihi, Ankara, 1985, S. 34-36.

١٣-يقصد هنا بمؤسسة التعليم غير النظامي تعليم المساجد والتكايا والقصور ومنازل العلماء ودور القراءة وبعض التجمعات الحرفيين. وهذه المؤسسات التعليمية لم يكن له منهج محدد ولا مدة دراسة محددة مثل مؤسسات التعليم النظامية، وعلى الرغم من ذلك لا يمكن أن نتجاهل دورها الكبير في نشر الثقافة والعلم بين مختلف طبقات المجتمع.

١٤-يذكر Cihat Baltaci في كتابه المدارس في العصر العثماني أن سن قبول التلميذ في المرحلة الابتدائية قد اختلف من مكان لآخر، فيذكر أن سن الالتحاق بهذه المرحلة في منطقة الأناضول كان ٤ سنوات، أما في استانبول ما بين ٥-٦ سنوات، كما ذكر أنه في عام ١٨٤٦م صدر قرار من نظارة المعارف العمومية التركية بأن لا يزيد سن الطفل الذى يريد الالتحاق في المرحلة الابتدائية عن ٦ سنوات وإلا تعرضت أسرته للغرامة (Cihat, Baltaci, Osmanlı, Medreseleri, a.g.e.S.71).

15- Akkutay, Ülker, Enderun Mektebi, Ankara, 1984, S.183, Cihat, Baltaci, a.g.e, S. 15.

16- Fahri Unan, 15 ve 17 Yüzyillarda Osmanlı Yönetim Kademesi Icerisnide Ebussuud Efendi Ailesi, Istabul, 2001, S.48.

17- Op.Cit,S.49-51.

18- Evliye, Çelebi, a.g.e.S.94,

طبقاً لما ورد في دفتر أوقاف ٣١٣ (١٥٨٥-١٦٨٣) نجـد أن عـدد دور التعلـيم الابتدائية التي شيدت في تلك الفترة قد بلغ ٦٢ مدرسة ابتدائية مـن إجمـالي ١٤٨ مؤسسة تعليمية أو مؤسسة تابعة (دفتر أوقاف رقم ٣١٣، أرشيف رئاسـة مجلـس الوزراء باستانبول).

19- Uzunçarşılı, a.g.e, S. 647. Cihat, Blataei, a.g.e, S. 17.

20- Ipşirli, Mehmet, Osmanlı, Devleti, Tarihi, İlmiye Teşkilatı, Istanbul, 1999, C.I.S. 259.
(Cihat, Ballaci, a.g.e, S.17, Uzunçarşılı, a.g.e, 467-679).

21- Ipşirli, Mehmet, a.g.c, S. 261.

22- Uzunçarşılı, a.g.e, S. 563.

23- Katip. Çelepi, Mimazelul Hak fi Ihtiyar-L Ahakk (Haz- Orhan Şaik Gökay, Istanbul, 1980, S. 37, Cithat, Baltaci, a.g.e, S. 19.

24- Katip. Çelebi, a.g.e, S. 38.

25- Cihat, Baltaci, a.g.e, S. 211.

ذكر أن هذه المدارس الثمانية كانت في الأصل ثمانية كنـائس تـم تحويلهـا إلـى مدارس زمن السلطان محمد لفاتح أسوة بكنيسة أياصوفيا التي تحولت إلى جامع في عهده أيضاً. (Uzunçarşılı, a.g.e, S. 583)

26- Uzunçarşılı, a.g.e, S. 584.

27- Ipşirli, a.g.e, S. 260, 261.

28- Cihat, Baltaci, a.g.e, S. 213.

29- Akyüz, Yahya, Türk Eğitim Tarihi, Ankara, 1985, S. 29-33.

٣٠- على سبيل المثال تم تعيين محى الدين أفندى المعزول عن قضاء حلب لهـذه المدرسة بـأجر يـومي مقـداره ٨٠ أقجـه (Cihat, Bltaei, Osmanlı Eğtitm, Sistemi, a.g.e, s.19,20).

31- Akyüz, yahya, a.g.e., s. 38.

٣٢-ولد العالم الجليل على كوشتشو في بلاد ما وراء النهر ودرس علم الرياضـة والحساب والفلك في مدينة سمرقند على يد قاضى زاده الرومـى ثـم أتـم دراسته وتحصيله في هذا المجال في مدينة قرامان ثم عاد مرة أخرى إلـى سمرقند، وأثناء وجوده في سمرقند ألف أول كتاب بعنـوان "حـل أشـكال القمر". وقد أهتم على كوشتشو أيضا بعلوم البلاغة والقواعد والتفسير وكان م مؤلفاته الأخرى " رسالة في الحساب " و"رسالة في الهية" (الفلك) وكتاب " التحفة الشاهية في الهيئة" وقد استعان به السلطان محمد الفاتح فـي وضـع قانون التعليم وإدارة المدارس في الدولة العثمانية بالمشاركة مع عـالم آخـر وهو مولا خورسـف، وقـد عـرف هـذا القـانون باسـم قـانون طلبـة العلوم(Uzunçarşılı, a.g.e.,s.653 ipsirli,a.g.e.s.261).

33- Cihat, Baltaci, a.g.e, s.23.

٣٤- ورد في دفتر أوقاف رقم ٣١٣ أن عدد المدارس العليا المتخصصة مثـل دار الحديث ودار القراء قد بلغ ٣٧ مدرسة وهو العدد الذى تم إنشاؤه في الفتـرة ١٥٨٥- ١٦٨٣م بنسبة ٢٥% من إجمالى الإنشاءات الجديـدة للمؤسـسات التعليمية. دفتر أوقاف ٣١٣، بتاريخ ١٥٨٥-١٦٨٣م (إحـصائية قـام بهـا الباحث).

٣٥-كان يطلق على هذا الدور أيضاً دور السنة النبوية المحمدية، وكانت مـستقلة كدور القراءة ومشتركة بين القرآن والحديث أو ملحقة بالمدارس ("تقى الدين أحمد بن على المقريزي، الخطط، جـ٣، صفحة ٣٣٥، عفاف سـيد محمـد

صرة، المدارس في العصر الأيوبي، من مجموعة مقالات منشورة ضمن أبحاث ندوة" المدارس في مصر الإسلامية" من ٢٢: ٢٥ أبريل ١٩٩١، تاريخ المصريين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، صفحة ١٧٥).

36- Evliya, Çelebi, a.g.e., s.464, Cihat, Baltaei, a.g.e., s25.

37- Cihat, Baltaci, Osmanli, Medreseleri, a.g.e.,s.138.

38- Uzuncarşılı, a.g.e.,s.598.

٣٩-الأرشيف العثماني باستنبول، وقفية السلطان سليمان القانوني، صفحة ٣٤-٣٥.

Evliya, Çelebi, a.g.e., s. 466-470.

40- Bilge, Mustafa, a.g.e., s.82-85, Akyüz, Yahya, a.g.e s. 72-77.

تأتي أهمية المدارس الموصلة في أنها تعتبر مدارس تأهيلية للمرحلة التالية وهذا بالنسبة للطلاب الذين لم يمروا في مراحل التعليم في المدارس السليمانية من البداية، أما في حالة مرور الطلاب في جميع المراحل التعليمية في المدارس السليمانية لم يكونوا في حاجة إلى المرور بالمدارس الموصلة (Uzunçarşılı, a.g.e, s. 587).

41- Uzunçarşılı, a.g.e., s.587, 588.

42- Bilge, Mustafa, a.g.e., s.471.

٤٣- حسان كافى الاكسارايي، أصول الحكم في نظام العلم، مكتبة سعد أفندى، استانبول، رقم ١٨٢٣، صفحة ٣أ- ب.

٤٤- رسالة كوتشي بك، استانبول ١٢٧٧هـ، صفحة ١٠.

٤٥- جليبولي على، كنح الأخبار، مكتبة جامعة استنابول، رقم ٥٩٥٩، صفحة ٣٥٨ب.

٤٦- دفاتر المهمة، دفتر رقم ٦/٢٧، ١٥٧٥م/ ٩٨٣هـ، صفحة ٨٨، يذكر أنه في نفس العام الذى صدر فيه أمر سلطان مراد الثالث بإصلاح التعليم تم إنشاء أول مرصد للنجوم في مدينة استانبول بالتبة الموجودة فوق دار

صناعة المدافع بها وقام بإنشاء هذا المرصد قاضى زاده أحمد شمس الـــدين أفندى.

(Cihat, Baltaci, a.g.e, s. 33).

47- Ersoy, Taşdimirci, Osmanlı, Impraratorluğun'da Medreselerinin Bozulmarlarl, Islah Etme Teşebbüsleri ve kapatlamalari, Erciyes Üniversitesi Sos, Bil. Enst. Der, Say, 4, Kayseri 1990, s531.

48- Bilge, Mustafa, a.g.e, s. 484, Cihat, Baltaci, a.g.e., 201-204.

إذا كان هناك أدلة نظرية على تدهور أحوال المؤسسات التعليمية في القرن السابع عشر من واقع شهادة المؤرخين المعاصرين، فهناك أدلة عملية على تدهورها أثناء القرن السابع عشر، وهو النسبة المخصصة التي رصدت لهذه المؤسسات في دفتر أوقاف رقم ٣١٣ في الفترة من عام ١٥٨٥م إلى عام ١٦٨٣م حيث بلغـــت النـــسبة خلال تلك الفترة ٦,٧٥% من إجمالى مخصصات المؤسسات التعليمية في القـــرن الثامن عشر والذى بلغت ٢٨,١٦% من إجمالى مخصصات الأوقاف خلال القـــرن الثامن عشر أي بنسبة تزيد عن أربعة أضعاف ونصف عـــن نـــسبة مخصـــصات القرن السابع عشر (دفتر أوقاف ٣١٣، ١٥٨٥- ١٦٨٣م - إحـــصائية قـــام بهـــا الباحث).

٤٩- السبكى (تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن على)، معبد النعم ومعيد النقم، صفحة ٨٣.

٥٠- من الوظائف التي حصلت عليها الطلاب الحائزون علـــى شـــهادة الإجـــازة، القضاء، الإفتاء، النيشانجي، الدفتردارية، خدام المساجد، التفتيش علـــى إدارة الأوقاف، كذلك الالتحاق بالوظائف العسكرية بصورة اختياريـــة (التطـــوع) وفي هذه الحالة يحصل الموظف المدنى الجديد على كل الامتيازات الخاصة بالعسكر (لمزيد من المعلومات التفـــصيلية أنظـــر Uzunçarşılı, a.g.e., s588-592).

51- Ipşirli, Mehmet, a.g.e.s.2.

وكان تعيين هؤلاء المدرسين في عصر السلطان الفاتح يتم بتوجيه خاص منه، بعد ذلك أصبحت هذه المهمة حتى بعد مدرسة الأربعين بتوجيه من الصدر الأعظم، ومن العشرين إلى الثلاثين بتوجيه من قاضي العسكر. (Cihat, Baltaci, a.g.e.,S.56-58).

٥٢- وتذكر الوقفيات المختلفة الشروط التى يجب توافرها فى المدرس من تلقى العلوم والملازمة والبراءة وأن يجتاز دروس الداخل والخارج(خوجا خير الدين أفندى، قانون المدرسين، مكتبة السليمانية، استانبول ١٣٢٧هـ، رقم4174.

53- Cihat, Baltaci, a.g.e,s.55.

54- Uzunçarşılı, a.g.e., s. 585.

كان المدرسون في مدرسة صحن الثمانية لهم وضع خاص في الوثائق حيث كانت لهم عدة ألقاب يخاطبون بها دون غيرهم من المدرسين ومنها " أفتخار العلماء المحققين، اختبار الفضلاء المدققين، ينبوع الفضل واليقين، وارث علماء الأنبياء والمرسلين" المختص بمزيد عناية الملك المعين".

وفي عصر السلطان القانوني" افتخار العلماء المحققين، اختبار الفضلاء المدققين، المختص بمزيد عناية الملك الصمد، والمدرس بمدرسة صحن الثمانية... أفندى دامت فضائله، Cihat, Baltaci, a.g.e., s.77.

55- Bilge, Mustafa, a.g.e.,s.77.

56- Uzunçarşılı, a.g.e.,s.653, Ipşirli, Mehmet, a.g.e.s.261.

57- Erol, Özbilgen, Osmanlılarda Gündelik Hayati, Osmanlı Ansiklopedisi, Istanbul. 1996, C.II,s. 171, Cihat, Baltaci, a.g.e,s.57.

٥٨-القلقشندي، المصدر السابق، جـ٣، صفحة ٣٦١.

٥٩-السبكى، المصدر السابق، صفحة ٨٥، عفاف صبرة، المرجع السابق، صفحة ١٨١.

٦٠-عفاف صبرة، المرجع السابق، صفحة ١٨١.

٦١- راجع وقفية السلطان الفاتح Cihat, Baltaci, a.g.e.,s.57 والسلطان القانون

62-Akyüz,Yahya, a.g.e,s.138

-Cihat, Baltaci, a.g.e., s. 59,Ipşirli, Mhmet,

٦٣a.g.e,s.262.

٦٤-Adivar, Adnan, Osmanli, Türklerinde ilim, Istanbul, 1943, s. 97-99, 103-105.

65-Cihat, Baltaci, a.g.e., s. 59 Adivar, Adnan, a.g.e.s. 106.

٦٦-دفاتر الأوقاف، دفتر رقم ٣١٣، ١٥٨٥-١٦٨٣م. (إحصائية قام بها الباحث) ومن خلالها نجد أن عدد الطلاب في هذه الفترة تراوح بين ٢: ١٥ طالباً وبلغ المخصصات السنوية لكل طالب بين ٣٦٠ أقجة: ٢٥٢٠ أقجة.

٦٧-أحمد جودت باشا، تاريخ العسكرية العثمانية استانبول ١٢٩٩، صفحة ١ ، ٢.

Abdülkadir, Özcan, Osmanli Askeri Teşkilat, Istanbul 1996, s.337.

٦٨- سيد محمد السيد، مصر في العصر العثماني في القرن السادس عشر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٧، صفحة ٥٠.

Uzunçarşılı, Osmanlı Devletinin Kapıkulu Ocakları, Ankara, 1989, s. 139.

69-Silahdar, Tarihi, Istanbul 1928, CII, s. 756., Abdülkadir Özcan, a.g.e., s. 345.

٧٠- سيد محمد السيد، المرجع السابق، صفحة ٥١.

٧١--نفسه، صفحة ٥١،٥٢.

Abdülkadir, Özcan, a.g.e.s.346-348, uzunçarşılı, a.g.e., s. 98-99.

72-Akkutay, Ülker, a.g.e, s. 82, Cihat, Baltaci, a.g.e.s.111,113,115.

٧٣- خضر بن إلياس، لطائف الأندرون، استانبول ١٢٧٦، عطا بك، تاريخ الأندرون، استانبول ١٢٩٣، صفحة ١٢٢ ١٢٥.

74-Akkutay, Ülker, a.g.e., s. 88.

75-Cihat, Baltaci, a.g.e.,s.111,113.

٧٦-خضر بن إلياس، المصدر السابق، صفحة ٨٩، ٩٠.

٧٧-عطا بك، المصدر السابق، صفحة ١٧٤.

٧٨-نفسه ، صفحة ١٧٨، Cihat,Baltaci, a.g.e., s.

كان من شروط البراءة التي يحصل عليها كبار رجال الدولة لإثبات حضروهم هذه الدروس، حضورهم في شهر رمضان ثمانية مرات على الأقل، على أن تكون كل مرة ساعتان حيث يقومون بدراسة كتاب قاضي بيضاوي للتفسير، وكان موعد الدرس بين الظهر والعصر داخل القصر وفي الأوقات المعتدلة كان يعقد في حديقة القصر (خضر بن إلياس، المصدر السابق، صفحة ٩٤-٩٨).

٧٩-عطا بك، المصدر السابق، صفحة ١٨٤، خضر بن إلياس، المصدر السابق، صفحة ٩٤، ١٠٢، ١١١، Akkutay, Ülker, a.g.e.s.91

80-Cihatm Baltaci, s. 113-114.

81-a.g.e. cit s. 114.

82-Uzunçarşılı, I.H Osmanlı Devletinin Merkez Ve Bahriye Teşkilatı, Türk Tarih kurumu, Ankara, 1988, s. 507.

83-a.g.e.Citl s. 508.

84-ayne eser.

85-Idris, Bostan, Osmanlı Bahriye Teşkilatı: XVII: Yüzyılda Tersane-I Amire, Türk Tarih kurumu, Ankara 1992, s. 94.95.

86-Uzunçarşılı, a.g.e.s. 509.

87-Cihat, Baltaci, a.g.e., s 114.

88-a.g.e.Cit,s. 115.

89-Uzunçarşılı, a.g.e., s.511.

90-Erol, Özbilgen, a.g.e., s. 237,239,241, Cihat, Baltaci, a.g.e.s.121.

